

إصدارات مركز الإحسان للإنتاج الفني و الإعلامي



إصدار رقم (5)

مراقبي السمو

كسر للجمود..
وخروج على المعهود

تأليف: علي صالح طمبل

شبكة
الألوكة
www.alukah.net



مراقب السمو

كسر للجمود.. وخروج على المعهود

تأليف : علي صالح طبل



فهرسة المكتبة الوطنية أثناء النشر - السودان

302.08

ع.ص.م. علي صالح طمبل عثمان ، 1978 -

مراقبي السمو : خروج علي المعهود .. وكسر للجمود / علي صالح

طمبل عثمان : ط.. الخرطوم : ع.ص. طمبل ، 2019

120 ص ؛ 24 سم

ردمك : 9-49-58-99942-978

1. السلوك الاجتماعي - مقالات و محاضرات

أ.العنوان

الطبعة الأولى

١٤٤١ هـ / ٢٠٢٠ م

تصميم الغلاف و الرسومات و التنسيق

م. مبارك عبد الوهاب صالح



@RokatyArt

mobark9619@gmail.com



قالوا عن المؤلف

علي صالح طمبل.. يراع صاعد وقلم سيال، يمتح من معين الكتاب والسنة؛ فتزهي كتاباته بمقالات هي أزهير الربيع، حسن منظر، وعبير يضوع.. سلس الحرف، قوي الحجة، يعلو عن الإسفاف، ويتيامن عن الفجاجة.. يمضي فرساً أصيلاً في مضمار الفكر وحلبة القول.

أحمد رمضان الخباز

أديب وناقد

ما يميّز كتابات الأستاذ علي طمبل؛ أنها مبسطة. سهلة النفاذ إلى القلب. تتساب، وتسرّب إلى الدواخل، بنفس بساطة مغازلتها لقضايا المجتمع. وفي ظني أن القبول الذي وجدته هذه الكتابات يرجع لأسباب عديدة أهمها: الأدبية، والشعرية، التي تزين هذه النصوص، وتفاعلها مع الرؤية النقدية الفاحصة التي يكتب بها الكاتب طمبل. بالإضافة إلى كل ذلك، فإن كاتبها يتميز بصبر، وأناة، وتريث، ومثابرة، واجتهاد الباحثين، ويملك إصرار التواقين إلى النجاح. ومن ملك كل هذه الأشياء فهو لا بد واصل إلى ما يريد.

محمد الخير حامد

أديب وباحث وإعلامي

ظللت متابعاً منذ عدة أعوام لمقالات الكاتب المجيد علي صالح طمبل، وقد كنت ولا زلت كلفاً بكتاباته التي ألفيت فيها سلاسة في الأسلوب، وإحكاماً في السبك، ورشاقة في الألفاظ؛ وإنها لتشف عن اطلاع واسع على مختلف الثقافات. ومما يميز طمبل عن كثير من كتاب عصره نأيه بقلمه عن الولوج في دهاليز السياسة وأقبيتها المعتمة، وصرف همته في النهوض بأمتة عبر كتاباته الدعوية والاجتماعية والتربوية، وغيرها؛ وإفراغ وسع قريحته في الارتقاء بفكر قرائه، وإذكاء جذوة عزيمتهم؛ حتى يعودوا إلى سالف عهدهم المجيد.

وما يزال يراعه ينبئنا أن للضاد من يعرف قدرها، وللفضيلة من يذود عن جنبها أن تعبت بها أيدي المبطلين.

عبد الوهاب عوض الخضر

شاعر



مراقى السهو



مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وبه نستعين، والصلاة والسلام على إمام المهتدين صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

أما بعد: بين أيديكم سفر كريم، وكتاب فريد كعقد اللؤلؤ المنثور؛ يفصل بينهما ياقوت وزبرجد معقود، ما إن تمسك بإحداهن إلا ولجت إلى التي تليها، فيتخزل الوقت ويُطوى الزمان وتسبح في أوراقه؛ وتحلق في فضاء المعرفة، فترتقي بمراقى السمو، كيف لا؛ وقد أعتيت بكلماته واختيرت عباراته لتناسب المقام، وتلامس الوجدان، لتشعرك بمن حولك؛ فتشحن همتك، وتبعث في روحك الأمل، وتدعوك إلى التأمل والعمل، بأسلوب ممتع مقنع؛ وهذه هي عين الحكمة (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا)، وذلك دليل على سعة علم كاتبه، وكثرة اطلاعه ومطالعه، في زمن قل فيه القراء الذين يقرؤون المفيد؛ لذا عم الجهل وهجر العلم؛ فأقعدت أمتا عن المعرفة، وفترت الهمة، وقل الحادي الذي يحدو الركب

يأتى هذا الكتاب: (مراقى السمو) في وقت نحتاج فيه لقراءة الواقع قراءة نقدية؛ تعزز الإيجابيات وتصحح السلبيات، وتعزز بتراثنا وديننا القويم الذى هو أساس نهضة الأمة

ونحن في الإحسان للإنتاج الفنى والإعلامي يسرنا أن نقوم بطبعه ضمن شعارنا الذي رفعناه: سمو الغاية وجودة المحتوى، وكما يتصدر الإصدار الخامسة من سلسلة إصداراتنا، وأما مؤلفه فقد توجّ الاحسان بمئات المقالات الرائعة، فكانت وجبة دسمة للقراء، ومحل إشادة، وأضفت على الموقع التميز في الطرح، ولا نريد أن نقصم ظهره، سائلين الله له القبول والتوفيق، صاحب القلم السيل الكاتب والشاعر الأستاذ على صالح طمبل، حفظه الله وتقبل منه.

مجاهد مكي أحمد

المدير التنفيذي لمركز الإحسان للإنتاج الفنى والإعلامي

شعبان ١٤٤١هـ / أبريل ٢٠٢٠م

الفهرس

إهداء 9

مقدمة 10

التغيير المنشود

العبارة الملهمة...!! 14

تبسّم وخلّ الهموم 17

أريد أن أتغير.. ولكن...!! 20

هل أنت من الرواحل أم الغثاء؟! 23

من بطن أمه إلى المقابر...!! 25

كمساري.. وأفتخر...!! 28

من المعاق حقاً؟! 31

ثقافة التشاؤم والتشيط في مجتمعاتنا 34

هل حققنا الاستقلال حقاً؟! 37

نعم سينهض السودان بإذن الله تعالى 40

أخلاق وسلوكيات

(أنا أخلاقي هنا...!!) 44

دخلت مدرسة في الأخلاق...!! 49

نظف المرأة ولا توسخ الشارع...!! 52

قف في الصف من فضلك! 55

تحدث بالعربية لو سمحت؟ 58

نسيت جوالي ولم أمت...!! 60

- 63 سخفاء الإنترنت وبسطاؤه!!
- 65 كن إيجابياً
- 67 أوقف الشمس أولاً!!
- 69 مواعيد خواجات!!
- 71 تعال بكرة!!
- 74 متى نعمل؟!
- 77 العمل بين ضعف الإتقان وخلف الوعود

نحو تنمية حقيقية

- 83 التنمية.. والفساد!!
- 86 تنمية الإنسان قبل تعليية البنيان!!
- 88 الفرق بين الدول المتقدمة والمتخلفة!!
- 91 لا للطب و الهندسة!!
- 94 ترجمة المؤلف:





إهداء

إلى كل نفس تواقة إلى صعود الجبال
أنفت أن تبقى بين الحُفَرِ
إلى كل نفس سئمت الجمود
وتمردت على الوهن
إلى كل نفس ودعت الخمول
ولم تستسلم لداعي الشيطان...
إلى كل نفس أبت أن تكون نسخة مكررة من غيرها
فقررت أن تحدث الفارق وتصنع التغيير...
أهدي هذي الكلمات
عليها تُدَخَّر عند الله أجوراً وحسنات...



مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه

التغيير من سنن الحياة، والأمم والشعوب التي لا تواكب حركة التغيير؛ تقع فريسة للتبدل والجمود ويتجاوزها الزمن في عصر سريع الإيقاع، طابعه التجديد، وديده التطوير.

وإذا ارتقى الإنسان بمعتقدده وخلقه وسلوكه؛ سما في مدارج الرفعة والسؤدد؛ حتى يبلغ قمة السمو الإنساني، حين يكتشف ذاته، ويفجر طاقاته التي وهبها الله عز وجل إياه، ويسخرها في خير العباد والبلاد.

هذا الكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم (مراقى السمو: كسر للجمود وخروج على المعهود)، يحاول أن يسبر أغوار التغيير الحقيقي، الذي يبدأ من تغيير النفس، مروراً بتطوير الذات وبناء القدرات، ومن ثم تحقيق الغايات المنشودة، وأن يقدم نماذج وتجارب وخبرات تُحتذى في التطوير والتغيير على مستوى الأفراد والجماعات والشعوب، فضلاً عن تعزيز السلوكيات الإيجابية في المجتمع وتفنيد السلوكيات السلبية؛ وأن يجعل الإنسان محور التنمية وأساس النهضة والثروة الحقيقية التي تمتلكها الأمم والشعوب، ويراهن في ذات الوقت على أهمية تصحيح عقيدته، وتحسين أخلاقه، وترقية سلوكه؛ موضحاً انعكاس ذلك إيجاباً على تغيير واقعه وتبديل أحواله.

كما يحاول الكتاب أن ينفذ إلى مكامن الإبداع والتميز في الإنسان، وأن يدعم كل ما من شأنه أن يكسر الرتابة والجمود؛ وأن يتمرد على المعهود، من عادات مقعدة، وتقاليد مثبطة، وسلوكيات منفرة.

وقد كُتب معظم هذه المقالات في غضون أربع سنوات، بين الأعوام (١٤٣٧-١٤٤٠هـ) الموافقة للأعوام (٢٠١٦م-٢٠١٩م)؛ امتداداً لمقالات سابقة، نُشر بعضها في كتاب (مرافىء وشرفات: بحث دائب عن الإبداع والتميز والرقي) الذي صدر عام ٢٠١٦م.

طرقت المقالات شتى الموضوعات التي تتناول جوانب العقيدة والسلوك والأخلاق، ولكن الرابط الأساسي الذي يجمعها هو الإنسان نفسه كما ذكرنا، وجاء ترتيبها في فصول ثلاثة وَفَّقَ الموضوعات التي تطرقت إليها: (التغيير المنشود، أخلاق وسلوكيات، نحو تنمية حقيقية)، ليتناول في الفصل الأول (التغيير المنشود) بداية التغيير ومتطلباته، وفي الفصل الثاني (أخلاق وسلوكيات) كيفية هذا التغيير وما يقدر فيه من أخلاق وسلوكيات، ليختم بالفصل الثالث (نحو تنمية حقيقية) الذي يعالج قضية التنمية الحقيقية التي تجعل الإنسان محوراً وحجر الرقى فيها.

كما لا يفوتني أن أزجي أسمى آيات الشكر والتقدير للمؤسسة الرائدة في مجال الإعلام الهادف الذي يجمع بين القيمية والمهنية على طباعتهم لهذا الكتاب: مركز الإحسان للإنتاج الفني والإعلامي، سائلاً الله أن يتقبل منهم، وبجزل لهم المثوبة.

ختاماً، أسأل الله جل وعلا أن يجد القاريء في هذا الكتاب ضالته، وأن يكتبه في سجل الصدقة الجارية والعمل النافع، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

علي صالح طمبل

شعبان ١٤٤١هـ / أبريل ٢٠٢٠م

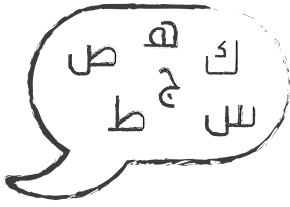


مراقى السهو



التغيير المنشود





العبرة الملهمة..!!

لا بد أن أوجه ضربة لصالح بريطانيا (**I must strike a blow for England**) هكذا قالت بطلة الرواية الإنجليزية التي درسها في المرحلة المتوسطة، واستطاعت تلك البطلة بالفعل أن توجه ضربة لصالح بريطانيا بإفشال الثورة التي كانت مندلعة ضدها!

ومن يومها استقرت هذه العبارة في ذهنه، لتصبح عبارة ملهمة له، وغاية يسعى لتحقيقها؛ فكان أن عدّلها لتصبح: (لا بد لي أن أوجه ضربة لصالح الإسلام).

ومن ثم سخر كل إمكانياته الفكرية والمادية، ووظّف كل طاقاته من أجل هدفه الأسمى على مدى خمس وعشرين سنة، فكان أن أسس أكاديمية لتخريج علماء عاملين، ودعاة نوعيين، وتأهيلهم بحيث يحدثوا تأثيراً على أوسع نطاق لصالح الإسلام.

وكان سبب تصنيف البخاري - رحمه الله - لسفره الخالد أنه سمع شيخه إسحاق بن راهويه - رحمه الله - يقول: (لو أن أحدكم يجمع كتاباً فيما صحّ من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم)، فكان أن صنّف أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى!

ولما رأى الإمام البرزالي - رحمه الله - خط الإمام الذهبي - رحمه الله - قال له: (إن خطك هذا يشبه خط المحدثين)، فقلبت هذه العبارة موازين الذهبي وجعلته من حُفاظ الدنيا) على حد تعبير د. علي الشبيلي.

وكان معلّم السلطان محمد الفاتح يصحبه إلى الشاطئ كل يوم، ويشير إلى القسطنطينية، ويذكر له الحديث: (لتفتحن القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش)، فاستقر في نفسه أن يكون هو الأمير الذي يفتح القسطنطينية، فكان له ما أراد!

وبعض الآباء أو المعلمين إذا دخل عليه ابنه أو تلميذه قال له: مرحباً بالشيخ، أو العالم، أو البروفيسور، أو الدكتور، أو الذكي، أو النجيب، أو القائد الفذ، أو الزعيم المحنك، أو نحو ذلك.

ومنهم من يقول لابنه أو تلميذه: (لقد نذرتك لخدمة هذا الدين) أو (أتوقع لك مستقبلاً باهراً بإذن الله) أو (أتوسم فيك أمارات النبوغ)، فترسخ تلك العبارات أو الكلمات أو الأوصاف الملهمة في النفوس؛ لتحُدث تغييراً جذرياً في حياة من صادفت فيهم تربة خصبة لغرس طيب، وتقلب الموازين رأساً على عقب!

وفي المقابل، هناك مثبطون ومخذلون، متخصصون في إحباط الناس والفتّ في عضدهم؛ لأنهم أدمنوا الفشل، وبعدت عليهم شقة النجاح، فإذا رأوا أحداً يادروه بعبارات وأوصاف وكلمات من شاكلة: (عمرّك ما حتتفع، لستَ شبه النجاح، أنت لا تفهم، أنت لا تصلح في هذا المجال، يا فاشل، يا غبي، يا بليد، ... إلخ)، وكل إناء بما فيه ينضح!

فمن استسلم لأمثال هؤلاء المحبطين - وما أكثرهم! -؛ فقد جنا على نفسه ومستقبله!



القادة والزعماء ومُحدثو التغيير على مرّ العصور هم الذي يبتشون الرسائل الملهمة، ويزرعون بذور الأمل، ويفرسون غراس التفاؤل، ويعلمون الناس الخير، يبتغون بذلك وجه الله تعالى، وهم يستحضرون قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من سنَّ في الإسلام سنة حسنة؛ كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة؛ كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً)^(١).

١ رواه مسلم (١٠١٧).



تبسّم وخلّ الهموم

الابتسامة تفتح الأبواب المغلقة، وتزيل الحواجز المتوهمّة، وتصنع جسراً من التواصل والحميمية، وتوحي بانشرّاح صدر الإنسان، وتسليمه لخالقه، ورضاه بواقعه.

وما إن يبتسم أحدهم في وجهك حتى تنهار الحواجز، وتزول الفجوات؛ فإذا كانت الابتسامة نابعة من القلب دخلت القلوب من غير جواز ولا تأشيرة دخول.

والشخص الذي يكثر من الابتسام مُحبَّب إلى قلوب الناس، يهشون له ويبشون، ويفرحون حين يتعاملون معه، وتبسط أساريرهم حين يلتقون به أو يسمعون عنه.

وفي المقابل، الشخص العابس المتجهم، تكفهر الوجوه حين تراه، وتتقبص الصدور حين تتعامل معه، وتتضايق النفوس حين تلتقي به أو تسمع عنه.

وكثير من الناس لا تلقاه إلا عابس الوجه مقطَّب الجبين، حتى أصبح العبوس والتقطيب جزءاً لا يتجزأ من تقاسيم وجهه! وتعلو مناسيب الأسف حين يكون هذا الشخص المتجهم في مهنة يكثر فيها التعامل مع الجمهور، مثل مجالات الطب والتعليم والتجارة والوظائف الحكومية والخاصة.

لقد ثبت علمياً أن الابتسامة تحرّك ١٧ عضلة من عضلات الوجه، أما العبوس فيحرك ٤٣ عضلة، وهذا يعني أن الابتسامة لا تكلف الإنسان كثير عناء، بينما التقطيب والتجهم يكلفانه كثيراً من الجهد والطاقة!

لماذا نعبس وتكفهر وجوهنا وقدوتنا النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان دائم التبسم، حتى قال عنه عبد الله بن الحارث رضي الله عنه: (ما رأيت أحداً

أكثر تبسماً من رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١).

وهو الذي قال عنه جرير بن عبد الله رضي الله عنه: (ما حجبني النبي صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت، ولا رأني إلا تبسّم)^(٢)، وكان من شدة تبسمه في وجوه الصحابة واحتفائه بهم يظن الواحد منهم أنه أحب الناس إليه، حتى سأله عمرو بن العاص رضي الله عنه يوماً: (أي الناس أحب إليك يا رسول الله؟) وقال: عائشة، قال: فمن الرجال؟ قال: أبوها^(٣).

وإذا كان التجهم لا يغيّر في واقع الإنسان شيئاً، بل قد يزيد الأمر سوءاً، فإن الابتسامة تبعث على التفاؤل والتغيير الإيجابي، وفوق ذلك لن يخسر الإنسان بإتيانها شيئاً، بل يربح الكثير حين يبتسم، ويكفي أن النبي صلى الله عليه وسلم قد عدّها من المعروف بقوله: (لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق)^(٤)، وعدّها من الصدقات حين قال: (تبسمك في وجه أخيك لك صدقة)^(٥).

ومن أجمل الأبيات التي أعجبتني في الحض على الابتسام والتفاؤل قول الشاعر:

تبسم تبسم وخلّ الهموم
وخلّ الغموم وخلّ الضجر
ولا تبتئس من صروف الزمان
ولا تشتكي من طعون البشر
وحلق بحلمك فوق النجوم
وكن طامحاً تجني طيب الثمر

وخير ما نختم به هذا المقال قول النبي عليه الصلاة والسلام: (إنكم لن

١ رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣٦٤١).

٢ متفق عليه.

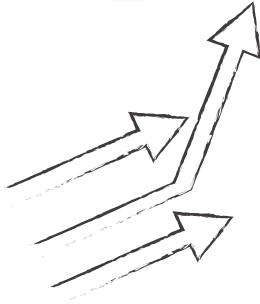
٣ رواه البخاري (٣٦٦٢) ومسلم (٢٣٨٤).

٤ رواه مسلم (٢٦٢٦).

٥ رواه الترمذي (١٩٥٦).

تسعوا الناس بأموالكم؛ فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق^(١). وهذا الحديث وغيره تثبت أننا أمة تبسم وتفاؤل وطلاقة وجه، لا أمة عبوس وتشاؤم وتجهم.

١ صحيح الترغيب (٢٦٦١).



أريد أن أتغير.. ولكن..!!

- البلد طاردة!

- المجتمع ما بشجع!

- الظروف صعبة!

- البلد ما بتدّي حريف!

- الحكومة ضيّقت علينا!

- ما في زمن!

- ما في قروش!

وهكذا يعلّق أغلب الناس أسباب فشلهم على مشجّب الظروف وشمّاعة الحكومات والمجتمعات، دون أن يستصحبوا الأسباب التي تتعلق بأنفسهم، فيذكرون كل ما يتعلق بالآخرين من تقصير وتفريط، بينما يبرئون ساحتهم وما فيها من همّة قاصرة، وعزيمة فاترة، وتضييع للأوقات، وتسويف وكسل وخمول.

وينسى هؤلاء أن التغيير الحقيقي يبدأ بالنفس، بمعرفة الذات جيداً، وما فيها من نقاط القوة ونقاط الضعف، ومن ثم تقوية نقاط القوة وزيادتها، وتقليل نقاط الضعف والتخلص منها.

نعم، قد تكون الأسباب المذكورة في مطلع المقال حقيقة وواقعاً معاشاً، وتشكل عقبات وعراقيل جابهت كثيراً من الناس في طريق النجاح والتغيير، لكن خبراء التنمية البشرية يقولون إن العوامل الخارجية لا تشكل سوى ٢٠٪ من أسباب التغيير، بينما تشكل العوامل الداخلية ٨٠٪ من أسبابه.

لكن المتأمل في الواقع يجد أن ٨٠٪ من الناس يعلقون أسباب فشلهم على العوامل الخارجية، مع أنها لا تمثل سوى ٢٠٪ كما ذكرنا!

ثم إن أيَّ نجاح وتفوّق لا يُدرك بالنوم وراحة الجسد، والأحلام الوردية والأمانى الزائفة؛ بل لا بد من التخطيط وَفْق أهداف محددة ورؤى واضحة، ولا بد من تعب وكد، واجتهاد وسهر، ووصل ليل بالنهاية؛ ولا بد من محن وابتلاءات، وامتحانات وصعوبات، وهذا ما لا يقدر على تجاوزه أصحاب الهمم الدنيئة والعزائم الوضيعة.

وصدق المتنبي حين قال:

وَإِذَا كَانَتْ النُّفُوسُ كِبَاراً تَعَبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ
وَكَذَا تَطْلُعُ الْبُدُورُ عَلَيْنَا وَكَذَا تَقْلُقُ الْبُحُورُ الْعِظَامُ

وحين قال:

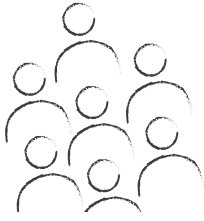
لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسَ كُلَّهُمْ الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَالُ

وعلى ذلك يمكننا أن نقيس هذه القاعدة (قاعدة التغيير التي تبدأ من النفس ومن الداخل)، نقيسها ليس على مستوى الأشخاص وحدهم، بل على مستوى الدول أيضاً، فالدول الفاشلة عادة ما تعلق فشلها على العوامل الخارجية، فتُعْزِيهِ إلى المؤامرات الخارجية، والاستهداف الدولي، والإمبريالية العالمية، والهجمة الإعلامية، وهلمجرأً مما سئمنا من تكراره؛ وتتعامى في المقابل عن العوامل الداخلية التي تتمثل في فشلها في بناء الإنسان وتفجير طاقاته، والاستفادة من الثروات والموارد الطبيعية، واستئصال الفساد، وتطبيق العدل، والقضاء على المحسوبية.

فالتشخيص السليم للمشكلة التي تجابه كلاً منا دون مكابرة أو إلقاء اللوم جزافاً على الآخرين، هو بداية التغيير الحقيقي الذي يبدأ بتغيير النفس بعد معرفة ما فيها من طاقات وإبداعات، ومعالجة ما يعترها من قصور وضعف؛ امتثالاً لقول الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)^(١).



أما إلقاء اللائمة والتبعة على الآخرين، والبكاء على اللبن المسكوب والماضي
التليد؛ فلن يقدم صاحبه خطوة واحدة نحو الأمام، هذا إن لم يتقهقر إلى الخلف!



هل أنت من الرواحل أم الغنّاء؟!

عندما سئل النبي عليه الصلاة والسلام عن سبب تكالب الأمم على الأمة الإسلامية، هل هو من قلة في العدد، قال: (بل أنتم يومئذ كثيرٌ، ولكنكم غنّاءٌ كُفُتَاءُ السَّيْلِ)^(١)؛ فأحالههم إلى النوع، وليس إلى العدد، (والغنّاء من الغث أي الشيء الحقيقير المستحقر أو الذي لا فائدة تُرجى منه).

ولما كان رجلٌ ملهَمٌ مسدد مثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعرف قيمة النوع وأهمية الرجال الحقيقيين، قال لأصحابه ذات يوم: (تمنوا. فقال بعضهم: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة ذهباً؛ أنفقه في سبيل الله وأتصدق. وقال رجل: أتمنى لو أنها مملوءة زبرجداً وجوهرًا؛ أنفقه في سبيل الله وأتصدق. ثم قال عمر: تمنوا. فقالوا: ما ندري يا أمير المؤمنين. فقال عمر: أتمنى لو أنها مملوءة رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة، وحذيفة بن اليمان)^(٢).

وأثبت النبي عليه الصلاة والسلام أهمية النوع حين قال: (إِنَّمَا النَّاسُ كَالْإِبِلِ الْمَائَةِ، لَا تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً)^(٣)، وفي الحديث إشارة إلى قلة المرضيين من الناس ديناً وخلقاً الذين يمكن أن يُعتمد عليهم في الأمور المهمة، كما ذهب إلى ذلك كثير من أهل العلم.

إذاً، مشكلتنا ليست مشكلة عدد أو عتاد، ولكن مشكلة ندرة في النوع؛ لأن كثيراً من المنتمين إلى الأمة غنّاء - كما وصفهم النبي عليه الصلاة والسلام - قليلو التأثير، فهم - إلا من رحم الله تعالى - إما في غفلة متبعون للهوى، بعيدون عن الهدى؛ وإما في عزلة لا يتعدى نفعهم ذواتهم، حصروا أنفسهم في دائرة الصلاح لا الإصلاح، فكانوا صالحين في أنفسهم، يوحدون الله، ويصلون في المساجد، ويجتنبون الكبائر، ولكنهم غير مصلحين لغيرهم، فلا يأمرهم بمعروف، ولا ينهون عن منكر، ولا

١ صحيح أبي داود للألباني (٤٢٩٧).

٢ فضائل الصحابة (ج ٢، ص ٧٤٠، ح ١٢٨٠).

٣ رواه البخاري (٦٤٩٨).

يعملون من أجل رفعة الدين ونهضة الأمة.

مع أن الصلاح وحده قد لا ينجي صاحبه من العذاب والهلاك إذا نزل، فقد قال تعالى: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقَرْيَةَ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ)^(١)، فقال تعالى: (وأهلها مصلحون) ولم يقل: (صالحون).

إذاً، مشكلتنا في ضعف التأثير وقلة الفاعلية، وهو ما يعبر عنه لفظ (الغناء) الوارد في الحديث، إضافة إلى ندرة الرجال - والنساء - الرواحل المصلحين العاملين لأجل إعلاء راية الدين ورقي الأمة في شتى المجالات، كل في مجاله ابتغاء مرضاة الله تعالى.

والأسئلة التي تتردد في هذا السياق: هل تتذكر الغاية من خلقك المتمثلة في عبادة الله وحده وإعمار الكون وفق شرعه سبحانه؛ لقوله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)^(٢)، هل تشكل إضافةً لدينك وأمتك أم خصماً عليهما؟ هل أنت أداة بناء أم معول هدم؟ هل تعمل لنفسك فقط، أم لدينك وأمتك؟ هل طموحاتك قاصرة على ذاتك أم تتعداها لتستصحب قضايا الأمة؟ أين أنت مما يجابه المسلمون من تحديات وآلام وأشواق؟

باختصار: هل تعيش لنفسك، أم لدينك وأمتك؟

إنها أسئلة ينبغي أن يطرحها كل منا على نفسه بصدق، فإن كان من الصنف الأول فليحمد الله، ولیمض على ذات الطريق؛ وإن كان من الصنف الثاني فليراجع نفسه وليلحق بالركب قبل فوات الأوان، وليعلم أنه سبب من أسباب تخلف الأمة، وعامل من عوامل تراجعها؛ لأنه غشاء كغشاء السيل، وزيد سيذهب جفاءً، قال تعالى: (فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَنْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ)^(٣).

١ [هود: ١١٧].

٢ [الذاريات: ٥٦].

٣ [الرعد: ١٧].



من بطن أمه إلى المقابر..!!

في أول محاضرة لذلك الأستاذ الجامعي، طلب من الطلاب أن يعرف كل منهم نفسه، فقام أحدهم فقال:

- اسمي فلان الفلاني، من مواليد عام....، من منطقة كذا، وقبيلة كذا.

ومن ثم نحت بقية التعريفات ذات المنحى في ذكر الاسم والميلاد والقبيلة، فلما فرغوا قال لهم الأستاذ:

- ليس هذا بالتعريف الذي أريد.

فأطلت الدهشة من وجوههم، إذ ليس هناك تعريف آخر اعتادوا تقديم أنفسهم به غير هذا التعريف! فسألهم الأستاذ:

- من تعرفون من المشاهير على مدار التاريخ؟

فذكروا له جملة من القادة والعلماء والمبدعين.

فعاد ليسألهم:

- لماذا اشتهر هؤلاء؟ هل اشتهروا لأجناسهم أو لقبائلهم أو للمناطق التي يسكنون فيها؟

فقالوا جميعاً:

- لا!

فقال:

- إذن التعريف الذي ينبغي أن يعرف به كل منكم نفسه هو: ما هي الإنجازات والنجاحات التي حققها، وما الذي قدمه لدينه ومجتمعه.

ثم أضاف:



- أما الاتكاء على النسب والاعتماد على القبيلة، فليس هذا إنجازاً أو تميزاً حقيقياً، ولا يد لأحد فيه!

وزار رجل إحدى المدن الأوربية، وطاف بمعالمها، حتى مرَّ بمقابر، فلاحظ أن كل مقبرة قد كتب عليها كلام مختصر، فدفعه الفضول لأن يقترب من إحداها فيقرأ: (البروفيسور فلان الفلاني، العمر: ١٥ سنة)، ثم قرأ ما كتب على مقبرة ثانية (الزعيم فلان الفلاني العمر: ١٠ سنوات)، ثم انتقل إلى أخرى فقرأ (الأديب فلان الفلاني، العمر: ٥ سنوات)، فاستغرب لذلك، إذ كيف يكون هؤلاء زعماء وأساتذة ومفكرون وأدباء لا تتجاوز أعمارهم عشر سنوات أو خمس عشرة سنة؟!

فلما سأل عن ذلك أُجيب بأن هذه الأعمار المكتوبة على المقابر تمثل أعمارهم الحقيقية التي قدموا فيها عطاء وإنجازاً للبشرية.

وحين رجع صاحبنا إلى وطنه، كتب لأبنائه وصية قال فيها:

اكتبوا على قبري (فلان الفلاني: من بطن أمه إلى المقابر): أي أن إنجازَه يساوي صفراً!

كثير منا يستند في تعريفه لنفسه على جنسه وقبيلته ونسبه، ويتفاخر بأشياء لا فضل له فيها، مما يقعه عن التميُّز والنبوغ. وقديماً قالت العرب: (قيمة المرء ما يحسن)، وقال بعضهم: (قيمة المرء ما يطلب)، فما يحسنه الإنسان ويتقنه ويسعى إليه هو الذي يميِّزه عن غيره، ويكون شخصيته، ويجعل له كينونة وذاتاً مستقلة، أما الاعتماد على النسب والتفاخر بالأباء والأجداد، فهو لن يفيد صاحبه بشيء، ولعل مصيره في خاتمة المطاف سيكون مشابهاً لذلك الرجل الذي لم يجد في صحيفة إنجازاته شيئاً يذكر!

إن ديننا الحنيف يحضنا على البذل والعطاء حتى آخر لحظة في حياتنا، فقد قال الله تعالى: (وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى

عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ^(١)، وقال النبي عليه الصلاة والسلام:
(إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبَيَدُ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرُسَهَا فَلْيَفْعَلْ)^(٢).

ولم يكتف بذلك، بل شحذ هممنا حتى يكون لنا عطاء وعمل بعد الموت، وفي الحديث: (إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)^(٣)، وفي حديث: (إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لَابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ)^(٤).

وأخبرنا الله جلَّ وعلا بأن ما يخلد من عمل ويبقى وينفع صاحبه في الدنيا والآخرة هو ما كان خالصاً له سبحانه، وما كان نافعاً للناس، قال جل من قائل: (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ)^(٥).

١ [التوبة: ١٠٥].

٢ رواه أحمد (١٢٥١٢).

٣ رواه مسلم (١٦٣١).

٤ رواه ابن ماجه (٢٤٢) وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه.

٥ [الرعد: ١٧].



كمساري.. وأفتخر!!



كانت مجموعة من الطلاب تجلس في المقاعد الخلفية للحافلة العامة، تملأ أصواتهم وضحكاتهم، دون مراعاة لكونهم في مكان عام، فيه من يكبرهم سناً ومنزلة، وفيه من يتضايق من حديثهم المزعج.

وحين جاء دورهم في دفع قيمة الرحلة دفعوا نصف القيمة باعتبارهم طلاباً، فطلب منهم الكمساري (مساعد السائق) أن يبرزوا بطاقتهم الجامعية، فمدوها إليه باستهزاء، وقال أحدهم في تهكم:

- وهل يعرف أمثالك القراءة؟

فلم ينبس الكمساري بكلمة، بل اكتفى بقراءة معلومات البطاقات، ثم ردها إليهم.

وبعد أن فرغ من تحصيل قيمة الرحلة من الركاب، أخرج من جيبه بطاقة، ثم أعطاها لأحد الركاب وقال له:

- لو سمحت، اقرأ لنا معلومات هذه البطاقة بصوت عالٍ حتى يسمعك هؤلاء الطلاب.

فقرأ ذلك الراكب - الذي كان كغيره من الركاب حانقاً على أولئك الطلاب - بصوت مسموع:- فلان الفلاني، كلية الطب، جامعة، المستوى الرابع! فسكت أولئك الطلاب كأن على رؤوسهم الطير (وكادوا يدخلون في أظافرهم من الحرج) كما يعبر بذلك السودانيون في لهجتهم العامية.

فقال لهم الكمساري:- أنا بحمد الله وتوفيقه أدرس بكالوريوس كلية الطب في جامعة... (بقروشي)، بينما تدرسون دبلومات في إحدى الجامعات (بقروش) أهلكم. ومن ثم طالبهم بأن يدفعوا قيمة التذكرة كاملة، فما كان منهم إلا أن دفعوا

صاغرين، ولم تُسمع أصواتهم بعد ذلك حتى نهاية الرحلة!

وأحد الكماسرة اضطرَّ إلى ترك الدراسة تحت ضغط الضائقة التي مرَّت بأسرته بعد وفاة الوالد، ليصبح عائل الأسرة الوحيد الذي ينفق على أمه وإخوته الصغار، فكان كلما مرَّ أثناء عمله بتلك الجامعة العريقة شدَّه الحنين إلى الدراسة، مُمنيًا نفسه بأن يكون أحد طلابها.

ولكنه لم يركن إلى الأحلام الوردية والأمني الكاذبة، بل بدأ خطوات عملية ليسجِّل اسمه بإحدى المدارس باعتباره طالباً مُمتحناً من المنزل، وخصص وقتاً لاستذكار دروسه، فإذا استشكل عليه أمر في مواد الدراسة لجأ إلى أصدقائه ومعارفه في شرحه وتوضيحه. وكان في ذات الوقت مستمراً في عمله مساعداً لسائق الحافلة.

ومرَّت الأيام والشهور، لتظهر نتيجة الامتحانات، مسفرة عن نجاح ذلك الكمساري بتفوق أهله لدخول أفضل الجامعات بالبلاد. وظل يجمع بين الدراسة والعمل في «الكمسرة» إلى أن أحرز مرتبة الشرف، وعُيِّن أستاذاً بالجامعة، فكُرم من الأساتذة والطلاب تكريماً تفاقته وسائل الإعلام، ليصبح نموذجاً يحتذيه الشباب في الصبر والثابرة وعلو الهمة وعدم الركون إلى اليأس والاستسلام للواقع. ومن الطريف أنه كان يسمى بين الطلاب «الكمساري»، بينما كان يسمى بين الكماسرة «ولد الجامعة».

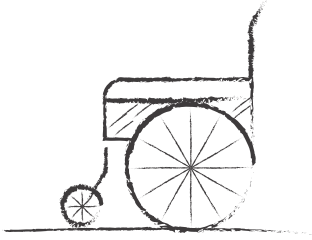
ما دفعني إلى كتابة هذا المقال هو تصاعد نبرة السخرية من الآخرين والاستهزاء بهم، والحكم عليهم بالظاهر، والتفاخر في المقابل بالعلم والمال والنسب والمنزلة الاجتماعية. ومن أبرز الشخصيات التي تتعرض لهذا السلوك الخاطئ: الكمساري الذي يتعرض في أحيان كثيرة للشتيمة والاستهزاء والتهكم من بعض ضعاف النفوس من الركاب الذين يظنون أن هذه المهنة لا يشغلها إلا من كان فاشلاً أو فاقداً تربوياً، مع أن هذا الكمساري قد يكون على قدر من العلم الرفيع والأدب الراقي والتربية القويمة، ولكنه اضطر تحت وطأة الظروف لأن يعمل بهذه المهنة



الشريفة!

وحتى إن كان فاشلاً أو فاقداً تربوياً فليس من أخلاق الإسلام أن نتعالى عليه أو نحتقره؛ كما أن العلم الحقيقي يورث صاحبه التواضع وخفض الجناح، و(ما تواضع أحد لله إلا رفعه)^(١) كما في الحديث الشريف.





من المعاق حقاً؟!..

«رشا» و«خالد» و«شامة» ثلاث شخصيات معاصرة تعيش بين ظهرانينا، جعلتني أعيد النظر في مفهوم الإعاقة؛ لأتساءل: من هو المعاق حقاً؟!

النموذج الأول أو الشخصية الأولى «رشا»: أصيبت بشلل أطفال منذ طفولتها، وعندما انتقلت أسرتها لتسكن في منطقة أخرى حالت ظروف الأسرة وبُعد سكنها دون مواصلة تعليمها، فاضطرت في سنوات الدراسة الأولى إلى ترك المدرسة؛ لكنها لم تستسلم، بل أصرّت على أن تدرس من المنزل وتذاكر دروسها دون مساعدة من أحد!

ومن ثم عقدت العزم على الجلوس لامتحانات مرحلة الأساس، بالرغم من معارضة الكثيرين وتشكيك بعضهم في نجاحها، فكان أن جلست للامتحانات، واجتازتها بتوفيق الله تعالى وسط دهشة الجميع. وواصلت بعزيمة لا تلين حتى التحقت بالمرحلة الثانوية، لتذاكر - وحدها - دروسها من منزلها؛ حتى جلست لامتحانات المرحلة الثانوية فاجتازتها بنجاح، ثم التحقت بالمرحلة الجامعية فسارت على ذات النهج حتى حصلت على البكالوريوس في إدارة الأعمال.

وما زالت «رشا» تطمح وتسعى إلى نيل أعلى الشهادات الأكاديمية والدرجات العلمية بنفس تَوَاقُع وهمة لا تفتر!

والنموذج الثاني أو الشخصية الثانية: شخصية «خالد»، شاب في ربيع العمر تعرّض لحادث سير تسبب في شلله التام إلا من حركة في رأسه ويده، وفشلت التدخلات الجراحية في إعادته إلى سابق عهده؛ ليصبح طريح الفراش لسنوات عدة، لكنه لم يركن إلى اليأس، بل عقد العزم على أن يكون له دور فاعل في الحياة، وأن يكون سبباً في سعادة الآخرين، فقرّر أن يلج مجال العمل الخيري من منزله، لينشيء علاقات وثيقة عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وينشيء شبكة استطاع من خلالها

أن يكون حلقة وصل بين المحسنين والمرضى الذين يحتاجون للمساعدات العلاجية، وأن يكتسب ثقة أهل الخير؛ فيقدّم عبر هذه الشبكات المساعدة لمئات المرضى الذين تصل تكلفة إجراء عمليات بعضهم إلى عشرات الآلاف من الجنيهات.

فكانت النتائج مذهلة لم يتوقعها ذلك الشاب حين بارك الله في جهوده، لتلهج ألسنة المرضى وأهليهم بالدعاء له والثناء عليه، ويدخر من الحسنات ما يكون له ذخراً يوم القيامة بإذن الله تعالى.

ولم ينسَ أن يواصل حفظ القرآن الكريم وطلب العلم الشرعي، وتقديم محاضرات ودروس في المساجد وعبر مواقع التواصل الاجتماعي.

والنموذج الثالث أو الشخصية الثالثة: شامة، فقدت البصر وهي في السنة الأولى من المرحلة الجامعية، فصبرت على هذا الابتلاء حتى أكملت الجامعة وواصلت مرحلة الدراسات العليا.

ولم يهدأ لها بال حتى تكون عضواً مؤثراً في مجتمعها، فاختارت مجال الإعلام؛ لعلمها بنفعه المتعدي وأجره الكبير إذا استخدم استخداماً صحيحاً، فما زالت تجتهد وتحاول حتى وفّقت في التعاون مع عدد من القنوات والإذاعات الهادفة في مجال الإعداد، فهي تعد الحلقة، وتختار الضيوف، وتتواصل معهم عبر الهاتف وهي جالسة في منزلها، لا تخرج إلا إذا استدعى الأمر خروجها ومتابعتها بنفسها.

وهكذا كان لها ما أرادت ليربو عدد البرامج التي تعدّها في الإذاعات والقنوات الفضائية على ستة برامج في الشهر الواحد.

إنها رسالة إلى الأصحاء الذي متعهم الله بالصحة والعافية، وأنعم عليهم بحواس سليمة وأعضاء معافاة، ومع ذلك ركنوا إلى اليأس واستسلموا للإحباط، وأكثروا الشكوى بحجج داحضة وأعدار واهية، رسالة لهم حتى يقتدوا بهذه النماذج الواقعية المعاصرة التي ضربت أروع الأمثلة في التوكل والثقة بالله والهمة العالية والصبر؛ لتَهز كل ذي قلب حيٍّ، وتوقظ كل ذي نفس سوية.

وكما قالت ”رشا“ في مداخلة هاتفية لها مع إذاعة ”نور FM ١٠٥,٣“
التي تبث من الخرطوم: الإعاقة الحقيقية هي الإعاقة النفسية“.

وهذه الشخصيات التي ذكرناها ما هي سوى غيض من فيض هذه الشريحة التي حُرمت
من بعض الحواس والصفات، ولكن منحها الله تعالى في المقابل من المواهب والإبداعات
ما جعلها تتفوق على كثير من الأصحاء والمعافين، والأمثلة والشواهد على ذلك تستعصي
على الحصر، مما يومية إلى أهمية الالتفات إلى هذه الشريحة المهمة ورعاية المبدعين فيها،
وصقل مواهبهم، ورفع قدراتهم؛ وإتاحة الفرصة لها حتى تبذل وتفجر طاقاتها الكامنة، وتشارك
في عملية النهضة والبناء.





ثقافة التشاؤم والتشبيط في مجتمعاتنا

ينشأ أطفالنا منذ نعومة أظفارهم على كلمات وعبارات من شائكة «يا غبي»، «يا أھبل»، «يا بليد»، «يا حيوان»، «يا ولد إنت ما بتفهم؟»، «الله يغطس حرك»، «الله لا كسبك»، «الله ينجضك زي ما نجضتي»، «الله يطلع مصارينك»، «بكسر ليك راسك الكبير ده»!

وفي المدرسة يسمع أطفالنا كلمات وعبارات من المعلمين - إلا من رحم الله - من شائكة «إنتو ما بتفهموا وعمركم ما حتفهموا»، «إنتو ما نافعين» «إنتو ما مربيين وما عندكم أدب»، «إنتو ما شبه القراية».

وأذكر أن أحد أساتذة الرياضيات في المرحلة المتوسطة كان يقول لنا: (والله لو فتحنا رؤوسكم وأدخلنا لكم هذه المادة لما فهمتم!)، وكان بعض الأهل يقولون لنا: (العايز يقرأ على كيفه والما عايز يقرأ على كيفه، الناس القروا عملوا شنو؟!).

لقد بلغ بنا التشاؤم والتشبيط أن أصدر شاعر كبير من شعرائنا ديواناً سَمَّاه «ملعون أبوك بلد!» ولم يقتصر التشاؤم والتشبيط على أمور الدنيا، بل طال أمور الآخرة نفسها، حتى شاعت فينا المقولة التي جرَّت مثلاً: (ناراً مضمونة ولا جنة مجهجة)!

ومنذ أن يستيقظ الواحد منا من نومه في الصباح يرسل لنفسه رسائل سائلة من شائكة: «البلد ما نافعة»، «نحن ضايعين في البلد دي»، «نحن ما مقيمين»، «المعيشة صعبة»، «دي بلد يرفعوا ليها راية»، «ولو قاومها برسائل مثل «نحن بخير والحمد لله»، «نحن في نعمة»، «الفشل ليس نهاية الطريق»، «غداً أفضل»، «أستطيع أن أنجح بإذن الله وأن أثبت وجودي» لكان هذا خيراً وأصلح لحاله، بدلاً من الاستسلام للواقع والركون إلى اليأس!

وفي إحدى الدول العربية وُجد أن نسبة المبدعين في المرحلة الابتدائية بلغت ٩٨٪، وانخفضت هذه النسبة في المرحلة المتوسطة إلى ٦٥٪، ثم انخفضت في المرحلة الثانوية إلى ١٠٪ فقط! وما ذلك إلا لأن معاول التثييط والتحييط في مجتمعاتنا تُعمل عملها في هدم الذكاء والنيل من التفوق والإبداع، فنحن - إلا من رحم الله - نحارب الناجح حتى يفشل، وغيرنا يحارب الفاشل حتى ينجح!

إن ديننا الحنيف وشريعتنا السمحة يعلماننا التفاؤل وبيعثاننا على الأمل، فقد كان نبينا عليه الصلاة والسلام يُعجبه الفأل الحسن، وأخبر بأن (الطيرة «أي التشاؤم» شرك)^(١)؛ لأن المتشائم يظن أن الضر يمكن أن يأتيه من غير الله تعالى، مع أن النفع والضر بيد الله وحده؛ ولأن المتشائم ضعيف الثقة في الله تعالى، فلو كان واثقاً بالله مؤمناً حق الإيمان لعلم أن الخير فيما اختاره الله تعالى وقدره، ويكفي في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر؛ فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر؛ فكان خيراً له)^(٢).

لقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يعلمنا التفاؤل، فقد كان في أحلك المواقف والكفار يُحكمون الخناق على المسلمين وهم يقاسون الفقر والتعذيب والاضطهاد يقول: (والله ليُتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون)^(٣)، وقرآننا الكريم يقول لنا: (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)^(٤)، ويقول: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا

١ رواه الإمام أحمد (٤١٩٤).

٢ رواه مسلم (٢٩٩٩).

٣ رواه البخاري (٦٩٤٣).

٤ [آل عمران: ١٣٩].

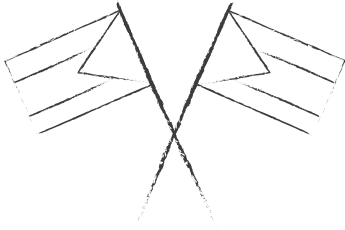


يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ^(١).

وحين سئل رئيس ماليزيا السابق مهاتير محمد عن سبب النهضة الحديثة التي انتظمت ماليزيا لم يسهب في الحديث عن الخطط والإستراتيجيات والنظريات، بل قال كلمةً اختصرت كل شيء: «التشجيع»؛ فما جاءه أحد بفكرة أو مشروع إلا شجعه وشحذ همته!

وأعجبني اسم أُطلق على مبادرات ومنظمات، وهو «بكرة أحلى»؛ لما فيه من الأمل والتفاؤل بغدٍ أفضل، ولو ربطوه بمشيئة الله لكان خيراً وأقوم.

إذاً؛ نحن بحاجة إلى أن نعزز إيماننا بالله جلّ وعلا وثقتنا به سبحانه، وأن نُعلي من قيمة التفاؤل والتشجيع، وأن نرسل دائماً رسائل إيجابية إلى أنفسنا، وإلى غيرنا، بدلاً من الرسائل السلبية المثبطة، حتى نقضي على ثقافة التشاؤم والتثبيط التي فتّت عضد مجتمعاتنا، وأقعدت همم الناس عن الإبداع والتميز والإنتاج!



هل حقنا الاستقلال حقاً؟!

كثيراً ما أتساءل حين تمرُّ علينا ذكرى ما يسمى بالاستقلال المجيد: هل استقللنا فعلاً وأصبحنا ذوي إرادة وكيان (مستقل بذاته) في كل المجالات؟!

إذا كان الاستقلال يعني خروج المستعمر بشخصه وجسده وكيانه فقد استقللنا حقاً وطردنا المستعمر، وهتفنا في أغانينا الوطنية، صادحين بصوت مجلجل في فخر واعتزاز: (يا غريب يلا لي بلدك.. سوق معاك ولدك ملمم عددك.. انتهت مددك وعلم السودان يكفي لسندك)!

هذا من ناحية، أما إذا نظرنا إلى الاستقلال بمعناه الشامل الذي يعني استقلال الفكر والإرادة والقرار، فالأمر يحتاج إلى نظر.

لقد خرج المستعمر بشخصه من بلادنا، ولكنه بقي بيننا بما تركه من إرثه، وبما بقي من وصايته علينا وتبعيته له.

فعلى الصعيد السياسي، لم تستطع الحكومات المتوالية منذ إعلان الاستقلال في خمسينيات القرن الماضي أن تحقق استقراراً وتنمية حقيقية، فالحروب والنزاعات ظل أوارها مشتعلًا منذ ذلك الحين وإلى يومنا هذا، حتى كانت محصولتها فصل جزء عزيز من الوطن متمثلاً في جنوبه؛ ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل فتحت جبهات أخرى في دارفور وجنوب كردفان والنيل الأزرق، ولا يخفى على كل ذي لب دور المستعمر في هذا التشرذم والتفريق؛ بما تركه بيننا من سياسته المعروفة (فرّق تسدّ) التي عملت على تأجيج العنصريّات والقبليّات والجهويّات التي لم تتخلص منها بلادنا حتى يومنا هذا!

ولم تشهد بلادنا استقراراً سياسياً؛ فمنذ الاستقلال توالى على منصة الحكم سبع حكومات لم تشهد في عهدها جميعاً استقراراً يذكر؛ فمن انقلاب عسكري ناجح أو فاشل إلى انتفاضة شعبية، ومن نزاع مسلح إلى حرب أهلية! هذا غير

النزاعات التي تحدث مع دول الجوار من حين لآخر.

ولم تشهد البلاد تنمية حقيقية متوازنة أو استقراراً اقتصادياً ملموساً، وظلت عملتها تتراجع في مقابل العملات الأجنبية تراجعاً مطرداً، ورزح أغلب سكان البلاد تحت نير الفقر؛ حتى خرجت حركات مسلحة تدعو إلى التقسيم العادل للسلطة والثروة، وتتسمى بأسماء العدل والمساواة والتنمية والحرية، وتتادي بتقسيم البلاد والحكم الذاتي والاستفتاء الشعبي، ووصل الأمر بالبعض أن تباكى على عهد الاستعمار الإنجليزي في رد فعل على ما عانى منه من ظلم وتهميش وفاقة!!

وما زلنا إلى يومنا هذا، نستورد أغلب احتياجاتنا من الخارج، من مواد غذائية وأجهزة تقنية ومواد بترولية وأسلحة ومعدات، بينما نعجز عن زراعة ملايين الفدادين الخصبة التي وهبنا الله إياها!

وبما أننا لم نستقل اقتصادياً؛ فبالتالي لم نستقل سياسياً، فتمارس علينا الضغوط الدولية في القرارات المتعلقة بشؤوننا الداخلية، ونسعى بعد ذلك كله للتطبيع مع أمريكا التي ترفع لنا بدورها سقف المطالب، وتزيد علينا العقوبات، وتستخدم معنا سياسة (العصا والجزرة)، بل وصل بنا الأمر أن تقتحم أراضينا دولة حقيرة مثل إسرائيل، فتنتهك حرمة البلاد لتطلق الصواريخ، فتقتل من تشاء وتدمر ما تشاء! بينما يكتفي المسؤولون بالشجب والتثديد والاستنكار!

وهناك تبعية أخرى أشد مما سبق، وهي التبعية الثقافية وتقليد الغرب في كل ما يبيته من أفكار وسلوكيات تنافي ديننا وعاداتنا وتقاليدنا؛ حتى دخلنا معه جحر الضب الخرب الذي تبا به النبي عليه الصلاة والسلام، فأصبحنا ننظر إلى ما يصدره إلينا بعين الانبهار التي تحسب السراب ماءً، لا بعين الانتفاع التي تميز الخبيث من الطيب.

إن الأمر يحتاج منا إلى وقفة صادقة مع هذه المناسبة التي تسمى (بذكرى الاستقلال المجيد)؛ حتى لا نخدع أنفسنا بشعارات براقة زائفة، متباكين على التاريخ الباذخ والماضي المجيد الذي شيده (جدودنا زمان الذين وصونا على الوطن)، ولنحقق معنى الاستقلال الحقيقي، فنبدأ نهضة حقيقية تنظم جميع أصقاع البلاد، وتشارك فيها جميع شرائح المجتمع؛ من أجل صنع استقلال تحقق فيه العبودية والتبعية لله جل وعلا وحده، ويُطبّق فيه شرع الله، وترسّى فيه دعائم العدل والخير الموجه من

ديننا الحنيف إلى البشرية جمعاء (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)^(١)، ويُحارب فيه
الشرك والبدع والظلم والفساد والمحسوبية.



نعم سينهض السودان بإذن الله تعالى

السودان بإذن الله تعالى قادر على النهوض بعلمائه الريانيين، وقادته الأفاضل، ومعلميه المتفردين، وأدبائه المبدعين، وعماله المتقنين، وأبنائه الغيورين على وطنهم من مختلف القبائل والجهات، كباراً وصغاراً، شبيهاً وشباباً الذين ينصهرون جميعاً في بوتقة واحدة من أجل التغيير القادم لا محالة.

كفى السودان تشردماً وتفرقاً، وتناحراً وصراعاً، وبكاءً على الماضي، ولعناً للحاضر، وأن له أن ينهض كما نهضت دول وشعوب لتحقيق أعلى معدلات التنمية وتعال أرفع أوسمة الإنجاز.

السودان غني بثرواته الطبيعية، من مياه جارية، وأراض خصبة، ومعادن نفيسة، ولكن أعظم ثروة فيه هو إنسانه، القادر - بإذن الله تعالى - على توليد الطاقات وتفجير الثروات، وقلب الموازين.

أقولها للمتشائمين والمحبطين من الأوضاع اليوم - وما أكثرهم - : نعم هناك ضائقة معيشية لم يسبق لها مثيل في التاريخ القريب، وتردد اقتصادي، وتراجع أخلاقي، وفساد إداري، لكن السودان حالياً ليس أسوأ من ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية، ولا أسوأ من اليابان بعد قنبلتي نجازاكي وهيروشيما، ولا من رواندا بعد الحرب الأهلية بين الهوتو والتوتسي؛ وكلها دول نهضت وتجاوزت المحن والابتلاءات، مع أن المعطيات التي كانت تملكها أقل بكثير من السودان اليوم.

السودان صاحب تاريخ عريق، وماض تليد، ولا يمكن أن نخزله في حكومة من الحكومات، ولا حزب من الأحزاب، وهذا الشعب بوسعه - بإذن الله تعالى - أن ينهض من الكبوات، وأن يتجاوز العثرات.

سيخرج من صلب السودان - بإذن الله تعالى - من يقيم دولة يوحد فيها الله

عزَّ وجلَّ، ويُطبَّق فيها شرعه، دون محاباة أو تمييز، القوي فيها ضعيف حتى يقتص منه، والضعيف فيها قوي حتى يأخذ حقه، تُستأصل فيها شأفة الفساد، ويُضرب فيها بيد من حديد على المفسدين، يُعزُّ فيها أهل الحق، ويُذل فيها أهل الباطل، ويُخزى فيها المنتفعون والمتسلقون الذين لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، ولا يرجون لهذه البلاد أمناً ولا استقراراً، يوالون أعداء الله، ويبيعون الوطن من أجل أطماعهم ومصالحهم.

نعم، أصاب هذه البلاد فقر وعوز، ومزقتها حروب ونزاعات، لكن أملنا في الله عظيم، وظننا فيه كبير - وهو عند ظن عباده فيه - أن يبدل حالنا من بعد الضيق رخاءً وسعة، ومن بعد الخوف أمناً واستقراراً، وهو - وحده - مالك الملك من يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، من بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

فقط علينا أن نووب إلى ربنا جل وعلا ونتوب إليه، وأن نغير ما بأنفسنا حتى يغير الله جل وعلا حالنا، وأن نستمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام؛ ففيهما الهداية والرشد، وأن نأخذ بأسباب النهضة والرقى، متمثلين تجارب الدول الناهضة في الحاضر والماضي، منطلقين من معرفة بذاتنا، ومعضدين لمواطن القوة، ومعالجين لمكامن الضعف.



مراقى السهو



أخلاق وسلوكيات





(أنا أخلاقي هنا..!!)

في أثناء قيادته للسيارة عرض له عارض فمال دون قصد منه على سيارة تسير إلى جواره؛ مما أربك سائقها، فالحق به، فإذا هي امرأة تتفجر خلجاتها غضباً، فلما حاذته صرخت وهي ترغي وتزبد:

- يا حمار!

فابتسم ابتسامة هادئة وقال لها:

- شكراً.

ثم مضى في طريقه وكأن شيئاً لم يحدث!

فلحقت به وهي في دهشة من أمرها، ورفعت صوتها قائلة له:

- هل سمعتني؟! لقد قلت لك إنك حمار!

فقال لها بذات الهدوء:

- نعم، سمعتك؛ وشكرتك لأنني كنت أسمع من يقول لي يا حيوان، وكنت

أتساءل أي نوع من الحيوانات أنا، فلما قلت لي يا حمار عرفت الإجابة!

وأضاف ببساطة:

- ثم ما الذي سأستفيدة من الغضب سوى فوران الدم والإصابة بالأمراض،

وفعل ما يمكن أن أندم عليه؟!

حينها لم تجد بداً من الاعتذار له وشكره على أدبه وحلمه ورحابة صدره!

وعندما زار رجل دولة من دول شرق آسيا قال له صديقه المقيم هناك:

أتحداك أن تجد أحداً يرفع صوته في الشارع أو يتشاجر بالأيدي كما في بلادنا!

فقبل ذلك الرجل التحدي، وأخذ يبحث عن مواصفات تتطابق على ما ذكره صديقه، إلى أن وجد بعد فترة طويلة رجلاً رافعاً صوته، فسأل عنه فإذا هو مختل عقلياً!

حينها أدرك كيف بلغت بعض الشعوب مدى بعيداً في التحضر حين ارتقت بسلوك الإنسان وهذبت أخلاقه.

أما في بلادنا فحدث ولا حرج عما تراه في الشوارع وإشارات المرور والأماكن العامة والمواصلات من رفع للأصوات والشتائم والسباب الذي يطلق عند أقل خطأ يقع من أحدهم، من أمثلة (يا حيوان، يا غبي، يا بليد، إتعلمت السواقة وين؟! العن أبو العلمك السواقة ذاته، بلد تافهة، ناس زي البهائم)، دون مراعاة لسن من أخطأ أو مكانته الاجتماعية أو حالته النفسية عند الخطأ!

وصار معتاداً أن ترى عراقاً بالأيدي والأقدام بين اثنين أو يزيد، وجمهرة من الناس تتفرج، بينما يحاول البعض أن يفض العراك الذي تتبادل فيه الشتائم والألفاظ الجارحة، ويبلغ فيه الغضب ذروته، ولا تستبعد أن يخرج أحد المتشاجرين آلة حادة أو عصا فيضرب بها الآخر؛ فيصيبه بأذى جسيم أو يودي بحياته فيصبح نادماً على ما فعل، كما تطالعنا بذلك أجهزة الإعلام من حين لآخر؛ وكل ذلك بسبب عدم السيطرة على الغضب؛ ليجد الشيطان الفرصة مواتية ليتحكم في الإنسان ويوجهه أنى شاء في تلك اللحظة الشيطانية!

وبلغت بنا سرعة الغضب والاستفزاز أن صارت تلك سمة وعادة ملازمة للكثيرين؛ حتى صار البعض يشير لك إلى أنفه ويقول لك (أنا أخلاقي هنا) كناية



عن سرعة غضبه وضيق خلقه! مع أننا ندّعي أن النبي عليه الصلاة والسلام هو قدوتنا، وهو الذي زكاه الله عز وجل بقوله: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)^(١)، فأين نحن من الاقتداء بأخلاقه والتأسي بشمائله وأحدنا يهيج ويثور عند أول هفوة أو كلمة تبدر من الآخرين؟!

أولم يخبرنا النبي عليه الصلاة والسلام أن القوي الحقيقي ليس من يستطيع أن يصرع أخاه، بل هو الذي يملك نفسه عند الغضب؟! وأخبرنا أن صفات الحلم والأناة وسعة الصدر صفات يحبها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وأنه يمكن اكتسابها بترويض النفس ومجاهدتها؟!

فهذا يقطع الطريق على من يقول (جُبلنا وفُطِرنا على سيء الأخلاق)، فقد قال عليه الصلاة والسلام في الحديث: (إنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم)^(٢).

وكثيراً ما أفضى الغضب والحمق إلى ما لا تُحمد عقباة، وأوقع صاحبه في الندم والحسرة، وكثيرون أصيبوا بالأمراض بسببه، بل بعضهم فقد حياته حين أصابته نوبة قلبية مفاجئة، أو ارتفع ضغط دمه نتيجة للانفعال الزائد وعدم التحكم في النفس!

وكم من شخص فقد وظيفته أو مهنته في لحظة غضب، وكم من شخص استُبعد من المناصب القيادية والوظائف العليا حين عُرف بسرعة غضبه وشدة حمقه!

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلفنا الصالح من الصحابة والتابعين أسوة حسنة في كظم الغيظ والعفو عن الناس والتغاضي عن أخطائهم؛ مما يعدُّ نموذجاً لأرقى ما وصل إليه الكمال الإنساني والسمو البشري في هذا الباب.

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يجذبه أعرابي جذباً شديداً من رداءه

١ [القلم: ٤].

٢ [السلسلة الصحيحة: ٣٤٢].

حتى يظهر أثر الجذب على كتفه، ثم يقول له: (يا محمد! مر لي من مال الله الذي عندك)، فما كان من الرسول الله عليه الصلاة والسلام ذي الخلق العظيم إلا أن (التفت إليه ثم ضحك، ثم أمر له بعتاء)^(١).

وفي الحديث (أن رجلاً شتم أبا بكر والنبي صلى الله عليه وسلم جالس، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يعجب، ويتبسم، فلما أكثر ردّ عليه بعض قوله؛ فغضب النبي صلى الله عليه وسلم، وقام فالحقه أبو بكر، فقال: يا رسول الله، كان يشتمني وأنت جالس، فلما رددت عليه بعض قوله غضبت وقمت، قال: إنه كان معك ملك يردُّ عنك، فلما رددت عليه بعض قوله وقع الشيطان؛ فلم أكن لأقعد مع الشيطان)^(٢).

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول له أحدهم: (هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تُعطينا الجزل ولا تحكُم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى همَّ أن يُوقع به، فقال له الحرُّ: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)^(٣)، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ، وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ)^(٤).

وروي أن جارية كانت تصبُّ الماء لعلي بن الحسين رضي الله عنهما، فسقط الإبريق من يدها على وجهه فشجّه، أي: جرحه، فرفع رأسه إليها، فقالت له: إن الله يقول: (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ) فقال لها: قد كظمت غيظي. قالت: (وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) قال لها: قد عفوت عنك. قالت: (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)^(٥) قال: اذهبي فأنت حرة لوجه الله!

١ رواه البخاري (٣١٤٩).

٢ [السلسلة الصحيحة: ٢٧١/٥].

٣ [الأعراف: ١٩٩].

٤ رواه مسلم (١٦١).

٥ [آل عمران: ١٣٤].



ودخل عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - المسجد ليلة في الظلمة، فمرَّ
برجل نائم فعثر به، فرفع رأسه وقال: أمجنون أنت؟ فقال عمر: لا. فهمَّ به الحرس،
فقال عمر: مه، إنما سألتني أمجنون؟ فقلت: لا).

وقد أوصى النبي عليه الصلاة والسلام من غضب أن يستعيذ بالله من
الشیطان الرجيم، وإذا كان يتكلم أن يصمت، وإذا كان واقفاً أن يجلس، وإذا كان جالساً
أن يضطجع؛ حتى لا يقول أو يفعل ما يندم عليه.

ليتنا نربي أنفسنا ونكون قدوة في تحمُّل الآخرين وإيجاد العذر لهم، وامتلاك
النفس عند الغضب، وكظم الغيظ، وليس ذلك انتقاصاً من مكانتنا أو دليلاً على
جبنا وانهزاميتنا وضعفنا كما يظن الكثيرون، بل هو دليل على ابتغائنا الأجر والمثوبة
من الله تعالى، وتنازلنا وإنكارنا لذاتنا من أجله، ودليل على قوتنا وامتلاكنا لناعية
أنفسنا، فالقوي من يملك نفسه عند الغضب كما تقدّم، و(وما زاد الله عبداً بعفو إلا
عزاً)^(١) كما قال الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام فيما صحَّ عنه.

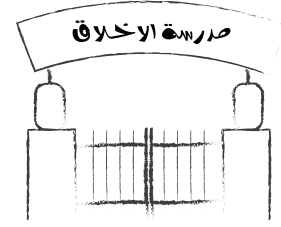
وتُشجذ هممتنا إذا علمنا أن جزاء كظم الغيظ مع القدرة على إنفاذه، وتمالك
النفس عند الغضب هو سلعة الله الغالية (الجنة) لقوله عليه الصلاة والسلام: (لا
تغضب ولك الجنة)^(٢) ولقوله عليه الصلاة والسلام: (من كظم غيظاً وهو قادر على
أن ينفذه، دعاه الله عزَّ وجلَّ على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من الحور
العین ما شاء)^(٣).

١ رواه مسلم (٢٥٨٨).

٢ صحيح الجامع (٣٨٤/٣).

٣ حسنه الألباني في صحيح أبي داود (٤٧٧٧)..

دخلتُ مدرسة في الأخلاق..!!



حين اصطدمت سيارتي بأخرى كنت أعلم أنني مخطيء بحسابات شرطة المرور، فقد كانت السيارة التي صدمتها تقف على جانب الطريق، وقد صدمتها من الخلف.

حينها استرجعت، وحمدت الله أن سلمني في جسمي، وأن السيارة الأخرى لم يكن بها أحد، وهبطت لأجد جمهرة من الناس قد تجمعت حول السيارتين، وسارع بعضهم ليطمئن على حالي، ونظرت فإذا بسيارتي قد تضررت من جراء الحادث، لكن الضرر الذي لحق بالسيارة الأخرى كان أكبر!

ثم التفت يمنة ويسرة بحثاً عن صاحب السيارة التي صدمتها، إلى أن ظهر شاب في منتصف الثلاثينيات من العمر، فتفحص السيارة ثم قال بهدوء: أنا صاحب السيارة، وظل يقف إلى جانب سيارته هادئاً كأن شيئاً لم يحدث، مما جعلني أسأله:

- هل أنت صاحب السيارة؟!

فقال بذات الهدوء:

- نعم.

فقلت في نفسي: لعله مخطيء، أو لعلها سيارة أحد إخوته أو أصدقائه؛ لأن المعتاد في مثل هذه المواقف أن يستشيط صاحب السيارة المتضرر غضباً، وأن يفرغ كل احتقاناته من مشاكله الخاصة والعامة في الطرف الآخر المخطيء، وأن يسمعه من الكلمات ما الله به عليم:

- إنت اتعلمت السواقة وين؟!

- ما شايف ولا عميان؟!



- ما بتعرف تسوق ولا جديد في السواقه؟

- كنت نايم ولا بتتكلم بالتلفون؟!

هذا إذا لم تتحول الكلمات إلى لكلمات وركلات!

ولكن العجيب في الأمر أن ذلك الشاب ظل محتفظاً بهدوئه طيلة الوقت،
مما خفف عليّ وقع الحادث، فأخذت أعتذر له من الضرر الذي ألحقته بسيارته،
لكنه قال لي ببساطة:

- لا عليك، ولو كنت أعلم الغيب لما خرجت من بيتي، ولكنه القضاء والقدر.

ثم سألني مطمئناً على حالي:

- لعلك لم تصب بأذى.

فقلت له وقد تنفست الصعداء:

- لا، أنا بخير والحمد لله!

وأخذت أقارن بين هذا الشاب وعشرات الذين رأيتهم في شوارعنا، يغضبون
من أقل هفوة تبدر من الآخرين، ويكيلون السباب والشتائم عندما يخطيء أحدهم
في حقهم!

بل تذكرت حين رجع أحدهم بسيارته إلى الخلف، ليلحق ضرراً خفيفاً
بسيارتي، كيف أنني صرخت مفرغاً غضبي فيه:

- ما بتشوف؟! المرايا دي عملوها في العربية لشنو؟!

وحينها، أدركت قيمة حسن الخلق، ولماذا هو أثقل شيء في ميزان العبد يوم
القيامة كما أخبر بذلك النبي عليه الصلاة والسلام؛ لأنه يحتاج لمجاهدة شديدة

للنفس، وعرفت لماذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن القوي ليس هو الذي يصرع الناس، بل هو الذي يملك نفسه عند الغضب.

وأيقنت أن كثيرين قد يتحدثون عن مكانة حسن الخلق وأهميته نظرياً، ولكن كثيراً منهم يسقط في أول محك عملي، حتى وإن كان من المحسوبين على أهل الدعوة والصالح، مع أن سوء الخلق لن يغير من الواقع شيئاً، بل قد يزيده سوءاً على سوء!

وعندها شكرت ذلك الشاب الذي أدخلني مدرسة عملية عليا في الأخلاق، وتذكرت قوله تعالى: (وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ^(١))؛ فقد كان ما تعلمته من ذلك الحادث يفوق أضعاف ما خسرت فيه، والحمد لله من قبل ومن بعد.

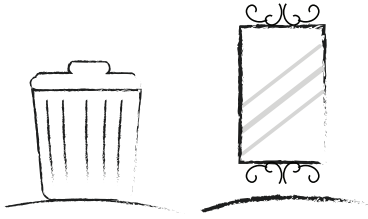
ولعلها رسالة وتذكير لي وللآخرين بأن نراجع أخلاقنا، موقنين بإمكانية إصلاحها وتهذيبها لما جاء في الحديث الشريف: (وَأَمَّا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ)^(٢)، ومقتدين بحبيبنا المصطفى عليه الصلاة والسلام الذي وصفه ربه جل وعلا بقوله: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)^(٣).

١ [البقرة: ٢١٦].

٢ صحيح الجامع (٢٣٢٨).

٣ [القلم: ٤].





نظف المرأة ولا توسخ الشارع..!!

كان يجلس في المقعد المجاور لسائق السيارة، فأخذ منديلاً، ومسح به المرأة اليمنى، ثم أراد أن يلقي بالمنديل في الشارع، فاستوقفه صديقه وقال له:

- لا تنظف امرأة السيارة وتوسخ الشارع!

وبعضهم إذا قلت له: لا تُوسخ الشارع العام بإلقاء القاذورات فيه! تعذر بأن الشارع متسخ في الأصل، أو أنه لا توجد سلال للقمامة فيه، وبعضهم يقول في وقاحة عجيبة: وماذا يفعل عمال النظافة، ولماذا يتقاضون أجوراً؟ أليس عملهم أن ينظفوا الشوارع؟!

وتتكرر مشاهد بشكل يومي، مثل أن ترى أسرة أو مجموعة من الأصدقاء أو الزملاء يقيمون جلسة في إحدى الحدائق، ويتناولون ما شاء الله لهم من المأكولات والمشروبات، ثم يلقون بها في استخفاف؛ ليقوموا عن جلستهم تلك وقد خلفوا وراءهم كومة من القمامة، في سلوك يتنافى مع الإنسانية، ناهيك عن الحضارة، دون أن يكلفوا أنفسهم عناء إلقائها في سلة القمامة، أو على الأقل جمعها في كيس كبير!

وصار أمراً عادياً أن يتمخض أحدهم، أو يبصق من نافذة السيارة في وسط الشارع الأسفلتي، أو يلقي بأعقاب سيجارة، أو يقذف (سفة) التبأك من فمه في منظر مقزز!

ولا أظن أن أحداً لم يصادف ذات يوم من يبول على جانب الطريق العام، أو في إحدى مجاري التصريف، أو على حائط من الحوائط؛ حتى اضطر البعض لأن يكتب (ممنوع البول)!

وأعجبني قول أحد العلماء في برنامج إذاعي: إذا قارن أحدا بين دولة عربية مسلمة ودولة غربية ليقف على مدى تطبيق ما جاء في الإسلام من الحث على النظافة وإمالة الأذى عن الطريق باعتباره شعبة من شعب الإيمان؛ لوجد أن الدولة الغربية أكثر تطبيقاً لهذا الجانب من الدولة المسلمة!

ولو نظرنا بعين الإنصاف لوجدنا أن الشارع ما كان له أن يتسخ لولا سلوكنا المشين المنافي للشرع والحضارة على السواء، فما تجمعت الأوساخ في شوارعنا وتكدست أكوام القمامة إلا لأن أحدا ألقى بقارورة فارغة في الشارع، ورمى الثاني منديلاً ورقياً، ومزق الثالث ورقة ونثرها في الهواء... وهكذا!

وقد رأيت ذات مرة بأمّ عيني أحدهم يلقي بقارورة فارغة في استهجان بجانب سلة المهملات وليس داخلها، فرفعتها وألقيت بها في السلة؛ لأدرك أن المشكلة ليست في قلة سلال القمامة كما يزعم البعض بقدر ما هي مشكلة في الثقافة التي لا تضع اعتباراً للنظافة ولا تُعلي من قيمتها!

ولو تعاملنا مع الشوارع والأماكن العامة تعاملنا مع بيوتنا وممتلكاتنا الخاصة؛ لصارت بلادنا معلماً من معالم الجمال والنظافة والرقي.

وقد بلغ بنا التهوين من أمر النظافة أن سمّينا من يعمل في مجالها عامل «النفائيات» أو «الزبالة» أو «الأوساخ»، وغيرها من الألقاب والتسميات التي توضح حالة القطيعة التي نعيشها مع النظافة - إلا من رحم الله تعالى - حين اعتبرنا مهنة النظافة مهنة وضيعة، وقللنا من شأن عامل النظافة الذي أسدى إلينا معروفاً حين قبل بمهنة نتأفف منها، ونتعالى على العاملين فيها! بدلاً من أن نطلق عليه ألقاباً محبة تجعله يُقبل على عمله بصدر منشرح وهمة عالية! فيقوم بواجبه في نظافة الوطن وتجميل صورته على الوجه الأكمل.

وعلى النقيض من هذه المشاهد نجد أن عامل النظافة في اليابان يسمى «مهندساً صحياً»، ويتراوح راتبه بين ٥٠٠٠ إلى ٨٠٠٠ دولار في الشهر، ويخضع قبل



انتدابه لاختبارات خطية وشفوية!

وفي بريطانيا، لا يُسمح لغير البريطانيين بشغل مهنة «عامل النظافة» باعتبارها مهنة تمس الأمن القومي، ويبلغ متوسط دخل «عامل النظافة» (حسب موقع «باي سكال» البريطاني) ٦,٧١ جنيهًا إسترلينيًا في الساعة الواحدة!

وتوصّل معهد «فورسا» الألماني في دراسة أجراها مؤخراً إلى أن عامل النظافة يعتبر صاحب أكثر الوظائف احتراماً وتقديراً بعد الطبيب في برلين، حيث يتقاضى راتباً شهرياً يقدر بـ ٢٤٠٠ يورو، بينما يعاقب القانون الألماني من يهين عمال النظافة بأن يجمع القمامة!

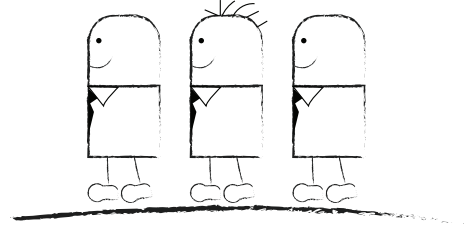
ويبلغ متوسط راتب عامل النظافة في الولايات المتحدة (حسب صحيفة «هافينجتون بوست» الأمريكية) ٦٠ ألف دولار سنوياً، ومع ذلك تعتبر الصحيفة أن الراتب غير مغرٍ، ولا يشجع على شغل هذه الوظيفة!

من هنا، أطالب بتكريم كل عمال النظافة في بلادنا وزيادة رواتبهم، واختيار العامل المثالي منهم كل شهر أو كل عام على الأقل، واختيار الأكفاء لهذه المهنة الشريفة؛ حتى نعرف قيمة النظافة وأهميتها، وحتى نعيد الاعتبار لعامل النظافة، ونحفظ له فضله في تجميل شوارعنا وتحسين صورتنا، ونشكر له صبره على أذانا وسلوكياتنا المنافية للحضارة.

كما أطالب بفرض غرامة على كل من يلقي بالأوساخ في الشوارع العامة؛ أسوة بالدول المتحضرة، إضافة إلى توفير سلال للقمامة في كل مكان؛ حتى لا يتعذر أحد بغيابها؛ وحتى يوفر الجهد والمال المبذولين في النظافة بإشراك المجتمع - كبيره وصغيره - فيها.

علاوة على نشر ثقافة النظافة في أجهزة الإعلام والجامعات والمدارس وتطبيقها عملياً في أنفسنا، وبيوتنا، وشوارعنا، وأماكننا العامة، ومقارّ عملنا.

قف في الصف من فضلك!



كان الشيخ محمد سيد حاج - رحمه الله - يقف في صف للقيام بإجراء مهم في إحدى المؤسسات الحكومية، فراه أحد رجال الشرطة، فسلم عليه باسمه، ثم قال له: تفضل؛ حتى ننجز لك إجراءاتك.

فامتنع الشيخ وآثر الوقوف في الصف على أن يتخطى الواقفين فيه.

فقال الشرطي: ولكنك شيخنا!

فقال الشيخ: لأنني شيخكم سأقف في الصف.

فلما رأى الواقفون في الصف ذلك منه؛ أقسموا على أن يقدموه عليهم، وقال أحدهم:

— والله يا شيخ لو تقدمت علينا لأعدتُ النظر في المشايخ من أمثالك، ولأسأت الظن بهم!

وعلى النقيض من هذا المشهد، تتكرر مشاهد بشكل يومي في المؤسسات العامة والخاصة، ووسائل المواصلات، والمخابز وغيرها... مشاهد توغر الصدور، وتذكى نار البغضاء والشحناء، حين تجد مجموعة من الناس واقفة في صف للحصول على خدمة ما، بينما يتسلل البعض جهاراً أو خفية ليتجاوزوا الآخرين ويتقدموا عليهم، أو يدخلوا إلى الموظفين من باب جانبي؛ لينالوا بغيتهم في وقت وجيز؛ دون مراعاة لشعور أحد؛ لأنهم يعرفون المسؤول الفلاني أو على صلة بالموظف العلاني؛ بينما يحتج البقية دون جدوى، أو يلوذون بالصمت في مرارة المغلوب على أمره؛ لأنهم يعلمون أنهم إذا أبدوا احتجاجهم؛ فقد يتأخر حصولهم على الخدمة، أو يُحرَموا الحصول عليها، كما شاهدوا ذلك من قبل في مواقف مماثلة!

وإذا لمت أحدهم على تجاوزك في الصف، لتعذّر بمشغوليته واستعجاله، مع

أنه قد يكون في الصف من يفوقه في المشغولية والاستعجال، ولكنها الأنانية والأثرة حين تغلب على الطباع!

ولا يكتفي البعض بذلك، بل يحكي للآخرين بزهو وفخر تجاوزه لغيره في الصف، وحصوله على الخدمة دون عناء ولا تضييع للوقت؛ والعجيب أن الأغلبية يستمعون إليه، بل قد يثنون عليه ويشيدون به، دون أن ينكر عليه أحد هذا السلوك المنافي للدين والمصادم للحضارة!

وما إن تلوح الحافلة العامة في موقف المواصلات المزدحم، حتى يهرول إليها الشباب ومن خلفهم الرجال والنساء والأطفال، فيركب الأقوياء قبل الضعفاء، والشباب قبل الشيوخ، والرجال قبل النساء والأطفال، ويتزاحم الناس أمام الباب، ليجد النشالون الفرصة مواتية لسرقة الأموال والجوالات، بينما يفضل البعض الركوب من النوافذ في سلوك مشين، دون أن يفكر البعض أو ينصح غيره بتكوين صف للرجال وآخر للنساء يسمح للركوب حسب الأسبقية، مع مراعاة الحالات الخاصة والحرجة!

أما في الدول المتقدمة فلا أحد يهرول إذا رأى الحافلة العامة أو المترو أو القطار، بل يذهب الجميع بهدوء، ويبدأ تشكيل الصف بأول من وصل إليه، ثم يليه البقية في صف ينتظم بتلقائية وبساطة.

نحن بحاجة لتعزيز قيمة الوقوف في الصف وكل القيم التي ترسخ احترام الآخرين وعدم التعدي على حقوقهم؛ حتى ينعم كل فرد بحقوقه، دون إغفار لصدر أحد، ولا هضم لحقوقه.

والوقوف في الصف والترتيب واحترام النظم واللوائح ومراعاة شعور الآخرين واحترامهم من صميم ديننا الحنيف القائم على حب الخير للغير، قبل أن يكون سمة من سمات الأمم الراقية وسلوكاً حضارياً يستدعيه العصر الحديث. ويكفي في ذلك

قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) (١).

وعلى كل راع استرعاه الله رعية أن يعامل الناس على قدم المساواة، دون محاباة أو محسوبية في الحصول على الخدمات؛ فإنه سيُسأل بين يدي الله تعالى عنهم. وعلى الدعاة والمصلحين وأهل الخير أن يكونوا قدوة في غرس الأخلاق الرفيعة وتدعيم القيم السامية.



تحدث بالعربية لو سمحت؟

ض
ف
ط
س
ه

حدثني صديق كان مقيماً بتايلاند لعدة سنوات عن اعتزاز التايلانديين بلغتهم، وكيف أنهم يدرّسون بها في مدارسهم وجامعاتهم، ويصرّون على الحديث بها، حتى إن أي أجنبي يطأ أرض بلادهم يُضطر مرغماً لتعلمها حتى يتعامل معهم! وإذا تجولت في شوارع عاصمة تايلاند أو غيرها من المدن، فطالعت اللافتات المعلقة؛ لوجدتها مكتوبة باللغة التايلاندية، وأغلب مدلولاتها مأخوذة من لغة التايلانديين، ولوجدت السلع والمنتجات التي تُصنّع محلياً قد كتبت بلغتهم أولاً قبل أن تكتب بأي لغة أجنبية أخرى.

ولم يمنع التايلانديين تدريسهم بلغتهم في الجامعات في كل التخصصات العلمية والأدبية أن تحرز جامعاتهم مواقع متقدمة في مصاف الجامعات العالمية.

قارنت هذا الوضع لدولة تعتز بلغتها التي لا يتحدث بها سوى سكانها، وتصر على فرضها، وتسعى لتطويرها حتى تستوعب العلوم والمعارف، قارنت ذلك مع حال ٢٢ دولة عربية تتكرر كثير من أبنائها للغتهم، اللغة التي اختارها الله تعالى لكلامه، لغة النبي عليه الصلاة والسلام، واعتبر بعضهم دراستها نوعاً من التخلف، واتهمها بأنها عاجزة عن استيعاب العلوم الحديثة، فصاروا يجارون الأعاجم في لغاتهم، ويتشددون بمعرفة اللغات الأجنبية، بينما لا يكاد يحسن الواحد فيهم لغته الأم!

ورحم الله حافظ إبراهيم الذي قال على لسان اللغة العربية:

وَسِعَتْ كِتَابَ اللَّهِ لَفْظًا وَغَايَةً وَمَا ضِيقَتْ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتِ
فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ وَتَسْيِيقِ أَسْمَاءٍ لِمُخْتَرَعَاتِ

وتستغرب إذا سافرت إلى إحدى الدول العربية، فتحدثت باللغة العربية في المطار مع الموظف العربي، فتفاجأ به يجيبك بالإنجليزية كأنه يتبرأ من لغته، ويخلي طرفه منها!

ولو تجولت في شوارع كثير من الدول العربية لعرفت حجم المأساة، حين تجد كثيراً من اللافتات قد كتبت بلغات أجنبية بأحرف تلك اللغات، أو بالعربية لتدل على مدلولات أجنبية، ولا تعجب إن رأيت اللغة الأجنبية مقدّمة في الكتابة على اللغة العربية! أو إن وجدت جامعاتها تدرّس بلغات أجنبية، وكأن اللغة العربية قاصرة عن استيعاب العلوم والمعارف وقد (وسعت كتاب الله لفظاً وغاية) كما قال حافظ إبراهيم - رحمه الله -!

وتزداد الحسرة حين تقف على شدة إقبال أولياء الأمور على إلحاق أبنائهم بالمدارس التي تدرّس بلغات أجنبية، في مقابل إهمالهم لتعليم أبنائهم اللغة العربية!

لسنا ضد تعلم اللغات الأجنبية وإجادتها، لكن ينبغي ألا يكون ذلك خصماً على اللغة العربية، وعلى من تعلم لغة أجنبية أن يعرف متى يتحدث بها، ومع من يتحدث بهذه اللغة، بعيداً عن الاستلاب الثقافي والتبعية العمياء، لا كما نرى من الكثيرين الذي يُباهون بتعلمهم اللغات الأجنبية، ويقحمونها في كلامهم، وإن لم يستدع السياق أو التوضيح ذلك!

ويجعل الكثيرون من تعلم اللغات الأجنبية غاية في حد ذاتها، وليس وسيلة للتواصل والاستزادة من العلوم والمعارف، ويعتبرون ذلك مؤشراً للثقافة والرقى، مع أن الأجانب أنفسهم يزدرون أمثال هؤلاء ممن يديرّون ظهورهم للغتهم ويعدونهم مصابين بانفصام في شخصياتهم ومستلبين ثقافياً.

الشعوب التي تحترم نفسها تضع تعليم لغتها ونشرها على رأس أولوياتها، وتتفق في سبيل ذلك من كرائم أموالها؛ لأن لغتها عنوان لوجودها، ورمز لهويتها، ودليل على اعتدادها بذاتها وكيانيتها.





نسيت جوالي ولم أمت..!!

ذات يوم، كنت مشغول الذهن بامتحان يُفترض أن أجلس له في نفس اليوم، فخرجت من البيت في عجلة من أمري، وقطعت مسافة طويلة؛ لكنني فجأة تذكرت شيئاً ما، فتحسست جيبي الأول بحثاً عنه، ثم جيبي الثاني، والثالث؛ لأكتشف أخيراً أنني نسيت الجوال في البيت!

فقلت في نفسي: هل أرجع مرة أخرى لأتناول الجوال؛ فأتأخر عن العمل، ومن ثم عن الامتحان؟ أم أمضي في طريقي مهما كلفني الأمر؟!

وتساءلت: ماذا لو اتصل بي البعض ووجد جوالي في البيت، كيف سيتواصلون معي، خاصة إذا كان الموضوع في غاية الأهمية؟ ماذا لو راسلوني في أمر مستعجل عبر مواقع التواصل الاجتماعي أو الرسائل النصية ولم يتلقوا رداً مني؟!

وهكذا دخلت في صراع نفسي، وترددت أول الأمر؛ إلى أن اتخذت قراراً كان يحتاج مني إلى شيء من العزيمة والإصرار، قررت أن أذهب إلى العمل دون جوال، وليكن ما يكون!

وبالفعل، ذهبت إلى المكتب، ومارست عملي كالمعتاد، بل أفضل من المعتاد من حيث الجودة والتركيز، حين أبعدت عني الشواغل والملهيات، وعلى رأسها الجوال.

ثم أخذت أراجع مادة الامتحان، وألتهم الصفحات التهاماً، حتى قطعت شوطاً كبيراً منها في فترة وجيزة، وكنت أكثر استيعاباً وهضمًا لمحتوى المادة التي قرأت منها ما لا يقل عن مائة صفحة في وقت قياسي!

والأهم من ذلك أنني شعرت براحة عجيبة وطمأنينة افتقدتها طويلاً، وشعرت لأول مرة منذ مدة طويلة بخصوصيتي واستقلالي.

وحين عدت إلى البيت مساءً راجعت الجوال، فلم أجد مكالمة مهمة ولا رسالة في أمر ضروري، وحتى الشخص الوحيد الذي أوصى بأن أتصل به متى ما عدت إلى البيت لم يكن موضوعه مهماً بالدرجة التي تجعلني أتصل به بمجرد وصولي كما ذكر!

حقيقةً، لقد جعلتنا التقنية الحديثة نعيش في وهم كبير، وصوّرت لنا أننا لا نستطيع الاستغناء عنها لحظة واحدة، فترى الواحد منا يراجع الجوال في اليوم عشرات المرات؛ حتى لو كان ذلك على حساب علاقته بأسرته وأهله وأصدقائه، بل على حساب علاقته بربه سبحانه وتعالى؛ إذ إن كثيراً منا لا يقطع صلاته بالجوال حين يتصل بربه، فصار معتاداً أن نسمع أثناء الصلاة نغمات الجوال تنطلق من حين لآخر لتفسد خشوع المصلين!

وربما جاء أحدنا إلى المسجد وهو يتحدث بالجوال، أو يتصفح مواقع التواصل الاجتماعي، فيدخل الصلاة بقلب ساه وفكر شارد، لم يغب الجوال باتصالاته ورسائله عن خاطره لحظة واحدة؛ فتكون المحصلة أن يخرج من الصلاة بخفي حنين!

وما إن تنتهي الصلاة حتى يسارع الواحد منا في لهفة لمطالعة جواله وما استجد فيه من مهاتفات ومراسلات، ناسين أو متناسين الباقيات الصالحات التي هي خير وأبقى عند الله تعالى!

وصار من المعتاد أن ترى مجلساً يضم رجالاً أو نساءً، ينشغل بعضهم عن البعض الآخر بجوالاتهم؛ ليستبدلوا التواصل المباشر بالتواصل الافتراضي! وقد تجد ذلك الواقع داخل الأسرة الواحدة التي صار كل فرد من أفرادها يعيش في جزيرة معزولة في عالم الجوال الافتراضي، لا يجتمعون ولا يناقشون أمور الأسرة إلا لماماً.

هذا غير ذنوب الخلوات حين يشعر الإنسان بابتعاده عن رقابة البشر؛

فيطالع المواقع الإباحية عبر الجوال، ويتبادل مع غيره من الآثمين الشائعات والصور والمقاطع والموضوعات الخلية، إلى جانب النكات المسيئة للدين والجنسيات والقبائل والأفراد والجماعات، متغافلاً عن الرقابة الإلهية التي لا تغيب عنه طرفة عين، وجاعلاً الله جل وعلا أهون الناظرين إليه!

نحن لسنا ضد التعاطي مع التقنية الحديثة، لكننا مع التعاطي الإيجابي الذي يكون بقدر الحاجة، دون تفريط يجعلنا نعيش في عزلة عن التقنية والمستجدات، أو إفراط يجعلنا نعيش في قطيعة مع واجباتنا تجاه ديننا ومجتمعنا، تعاطٍ يحتفظ لنا بحياتنا الخاصة، ولا يكون خصماً على علاقتنا بالآخرين.

ولنتذكر أن الإنسان صنع هذه التقنيات لخدمته، لكن الواقع يؤكد أن كثيراً من الناس صاروا عبيداً وخداماً لهذه التقنيات، تسيّرهم وتبرمجهم كيف شاءت، ومتى شاءت!

جربوا أن يكون لكم وقتكم الخاص الذي تغلقون فيه الجوال، أو تضعونه في الصامت على الأقل، جربوا أن تعيشوا حياة طبيعية تلقائية، تخلون فيها إلى أنفسكم، وتلفتون فيها إلى أسركم، وتسامرون فيها أحبابكم، وتباشرون فيها مسؤولياتكم؛ وتعودون فيها إلى سجيبتكم وإنسانيّتكم، بعيداً عن برود التقنية وجفاف الآلة، حياة لا إملاء فيها ولا تدخل ولا وصاية من أي جهة كانت.

وثقوا أنكم ستشعرون حينها بسعادة غامرة، وممتعة لا مثيل لها، حين تعودون إلى فطرتكم، وتكسرون الروتين الذي صنعه الآلات الجوفاء والتقنيات الصماء، وأيقنوا أن عجلة الحياة لن تتوقف، ولن يفوتكم شيء ذو بال، ولن تموتوا بإذن الله تعالى.



سخفاء الإنترنت وبسطاؤه..!!

سخفاء الإنترنت يصرون على زحمتنا عبر مواقع التواصل الاجتماعي بموضوعات فارغة، وأخبار مغلوطة، وأحاديث تافهة، بينما بسطاء الإنترنت يصدّقون كل ما تقع عليه أعينهم، ويمررون وينشرون كل ما يرد إليهم، دون تفكير أو تريث!

سخيف الإنترنت لا موضوع له ولا هدف من دخوله لمواقع التواصل الاجتماعي سوى تضييع أوقات الآخرين، غايته أن يفوز بأكبر عدد من التعليقات والإعجابات بما ينشر - مهما كان محتواه تافهاً - فيسعى لجذب المعلقين والمعجبين بشتى الوسائل، من شاكلة (لو بتكره الشيطان أكتب: بسم الله)، (اليهود يكرهون الله أكبر. كم عدد كارهي اليهود؟ يكتب الله أكبر)، (المطلوب ٤٤ صلاة عليك يا رسول الله، ملاحظة: النذل يطنش البوست)، (لو تأثرت بالصورة دي أكتب الحمد لله)، (إن لم تنشر هذا الموضوع فستصاب بمرض خطير)،... الخ.

وبالطبع ما إن يقرأ بسطاء الإنترنت عبارات من تلك الشاكلة حتى يسارعوا بالتعليقات وإبداء الإعجابات، فيسرّ سخفاء الإنترنت ويحسّون بالنشوة - وربما الغرور -؛ لأن موضوعاتهم الفارغة حظيت بالاهتمام من البسطاء والسذج الذين يشبهون الإسفنج في امتصاص كل ما يرد إليهم!

سخفاء الإنترنت لا يهتمهم إن كان ما ينشرونه صحيحاً أو مستوثقاً من مصدره، فإذا نشروا في أمور الدين لم يقفوا على سند الأحاديث ولا صحة الأقوال المنسوبة إلى أهل العلم، وإذا نشروا في أمور الحياة لم يستوثقوا من صدق الأخبار ومصدرها، وشجعهم على ما هم فيه أن بسطاء الإنترنت مستعدون لتلقف كل ما يبثونه، ومن ثم نشره على الفور! وما انتشرت الأكاذيب والشائعات والتوافه في مواقع التواصل الاجتماعي إلا لوجود هذين الصنفين: السخفاء والبسطاء!

وحين لا يجد سخفاء الإنترنت موضوعاً يشغلون به أوقات الناس بعد أن تعبوا من التكرار وملوا الرتابة، يلقون تحايا ممجوجة، أو يفتحون موضوعات سطحية، أو يلتقطون لأنفسهم وأصدقائهم صوراً لا جديد فيها ولا مفيد! والعجيب أن مثل هذه



الموضوعات هي التي تجد مرتعاً خصباً وقبولاً أوسع لدى البسطاء والسذج الذين يعجزون عن متابعة المنشورات الهادفة والقضايا المهمة النافعة!

إننا بحاجة لاستشعار المسؤولية وتذكر أننا محاسبون أمام الله تعالى عن كل ما يصدر منا من قول أو فعل؛ مصداقاً لقوله تعالى: (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)^(١)، وتتعاظم المسؤولية حين يكون النشر في مواقع الإنترنت والتواصل الاجتماعي؛ لسرعة انتشارها واتساع مداها، وقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام عن عاقبة من يكذب الكذبة فتبلغ الآفاق أنه يعذب في قبره بأن يُقَطَّعَ جانباً فمه، من وجهه إلى قفاه، ويُفعل به ذلك إلى يوم القيامة، وذكر (إنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق)^(٢)، وما أرى أشبه بالآفاق المذكورة في الحديث من الإنترنت ووسائل الإعلام في زماننا هذا.

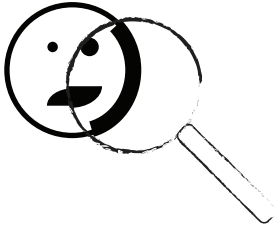
فعلينا أن نتبين ونتثبت من صحة ما نرغب في نشره، وأن لا يترتب على نشره مفسدة؛ حتى لا نقدم على أمر عاقبته الندم والحسرة، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)^(٣).

وعلينا أن ننظر في كل موضوع قبل أن ننشره فنسأل أنفسنا: هل يسرُّنا أن يُكتب هذا الموضوع في صحائفنا يوم القيامة؟ وهل سيكتب في صحائف الحسنات أم السيئات؟

١ [ق: ١٨].

٢ رواه البخاري (٧٠٤٧).

٣ [الحجرات: ٦].



كن إيجابياً

كثيراً ما ألتقي ببعض الأصدقاء والمعارف فيذكرون رأيهم في أحد المقالات التي أرسلها عادة بالبريد الإلكتروني، أو أنشرها على مواقع الإنترنت وصفحات التواصل الاجتماعي والمدونات، فأقول: لماذا لم تذكروا هذا الرأي حين قرأتم المقال؟ فيتعذرون بضيق الوقت، وكثرة المشغوليات!

فأسأل بعضهم: هل قرأت المقال؟ فيجيب: نعم - وبعضهم يقول إنني أقرأ لك منذ سنوات وأرسل لأصدقائي - فأعود لأسأله: كم استغرقت منك قراءة المقال؟ فيقول: خمس أو عشر دقائق. فأقول له: إذا لم تستطع التعليق على المقال لانشغالك، فلا أقل من أن تدعو لكاتب المقال بالخير بأن تكتب (جزاك الله خيراً) إن أعجبك الموضوع، أو تكتب (اتق الله) إن كان مخالفاً للحق، ألا تعلم أن من قال لأخيه جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء، كما في الحديث الشريف؟ وأن الله عز وجل أمر النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بتقوى الله جل وعلا؟ إن قراءة المقال الواحد تستغرق خمس أو عشر دقائق - كما ذكرت - وكتابة (جزاك الله خيراً) أو (اتق الله) لا تستغرقان سوى عشر ثوانٍ أو خمس عشرة ثانية على الأكثر!

حقيقة، كثير من الناس يدخلون مواقع الإنترنت المختلفة، ويطالعون البريد الإلكتروني ومواقع التواصل الاجتماعي، ولكنهم يفتقدون إلى الإيجابية في تعاملهم مع هذه المواقع المختلفة.

إن الإيجابية في الإنترنت تعضد الفعل الحسن، بالشد من أزره؛ وتقلل من الفعل السلبي، بتثييطه والحد من انتشاره.. الإيجابية في الإنترنت تعني النصح والإرشاد عند رؤية ما يسيء إلى الدين أو الأخلاق، كما تعني الشكر والدعاء لمن كتب أو نشر ما ينفع الناس في دينهم ودنياهم.. تعني تكثير الردود والتعليقات على المواقع المفيدة النافعة، كما تعني المطالبة بإغلاق المواقع الإباحية، والتبليغ عن الصور



الخليعة والممارسات التي تخدش الحياء.

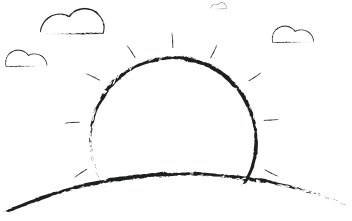
للأسف الشديد، نجد أن المواقع النافعة هي الأقل من حيث التفاعل الإيجابي إذا ما قورنت بغيرها، وما ذلك إلا للسلبية الموهلة التي تلجم الكثيرين عن التعاطي الإيجابي مع المنشور في الإنترنت، بالرغم من قراءتهم له واطلاعهم على محتواه؛ إذ تجد الموضوع الواحد يدخله الآلاف، ولا يعلق عليه إلا القليلون، هذا إن لم يبق دون تعليق!

وهكذا يعجز البعض عن الدعاء بالخير، أو حتى كتابة كلمة (مشكور)، أو الضغط على الإعجاب كحد أدنى، و(لا يشكر الله من لا يشكر الناس)^(١)، كما يعجزون عن قول (اتق الله) كما أسلفنا.

ومما يحزُّ في النفس، أن أكثر التفاعل في الإنترنت منصب على المواقع الفارغة من المحتوى، والمواقع الإباحية، في الوقت الذي تعاني فيه المواقع المفيدة النافعة من الإهمال والتجاهل، كيف لا ومرتاوها غارقون في سلبيتهم الخاملة! ف(عجبت لعجز الثقة وجلد الفاجر)!

إن الإيجابية في الإنترنت تعني مزيداً من العطاء النافع المثمر الذي يرسخ للمعروف ويقلل من المنكر، بينما تعني السلبية تمدد الباطل، وانتشار المنكر في ظل الغفلة والتجاهل، وصمت أهل الخير!

١ رواه الإمام أحمد والبخاري في الأدب المفرد.



أوقف الشمس أولاً!!

في ماليزيا لا يُقدّم لك في مكان العمل شاي ولا قهوة؛ حفاظاً على وقت العمل، وما بلغت ماليزيا ما بلغت إلا حين أعلنت من قيمة الوقت، وشجعت على العمل الجاد الدؤوب من أجل نهضة البلاد.

وأحد العلماء قديماً ناداه أحد المتبطلين قائلاً: توقف يا شيخ!

فقال له العالم: أوقف الشمس أولاً!

وأذكر أن طبيباً أخبرني بأنه قال في جمع من الأطباء الأجانب وهو يشير مفاخرًا إلى طبيب من بلاده:

- هذا الطبيب له مائتا بحث.

فلم يُبدِ الأطباء اهتماماً أو تفاعلاً يذكر؛ مما أثار حيرته وجعله يشعر بالامتعاض لبرودهم وقلة أكتراثهم!

ولم يدرك السر إلا حين سافر إلى ماليزيا، حيث أشاروا له إلى طبيب له من البحوث ثلاثة آلاف بحث! حينها أدرك كيف يمكن أن يصنع الاستثمار الأمثل للوقت الفارق، وكيف يمكن أن يحقق المستحيل!

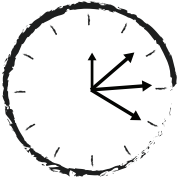
وإذا قارنا بين الوقت في ماليزيا وبلادنا، لرأينا العجب، فالوقت أرخص شيء عندنا - إلا من رحم الله - وإهداره فيما لا طائل من ورائه من أسرار الأمور، حتى شاع بيننا مصطلح (كسّير الوقت)؛ أي تضييعه، ولا أدل على ذلك مما نراه من تسكع

وإهدار للوقت في الطرقات، وفي الشوارع، وأمام (ستات الشاي)، وأمام شاشات الجوالات والقنوات الفضائية، وفي المقابل تضييع وقت العمل الذي نحاسب عليه ونتقاضى أجراً من ورائه؛ وبالتالي تضييع حقوق العباد ومصالح البلاد. وكما قال القائل:

الوقتُ أنفُسُ ما عُنيَتْ بحفظه وأراه أكثر ما عليك يضيعُ

الوقت هو رأس مالنا الحقيقي، وسنسأل عنه بين يدي الله تعالى يوم القيامة، والعمر هو الوحيد الذي إذا زاد نقص؛ فعلينا أن نوظفه كما ينبغي، وأن نستغل كل ثانية منه في طاعة الله ونفع الناس؛ لأن ما مضى منه لن يعود أبداً، ولن يفلح أحد في إرجاع عقارب الساعة إلى الوراء. وكما في الحديث: (لَنْ تَزُولَ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ ال قِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟ وَعَنْ مَالِهِ مَنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ)^(١).





مواعيد خوابات..!!

(مواعيدنا الساعة ٩ صباحاً، انتظرني لحدي ١٠، إذا ما جيت لحدي ١١ أمشي الساعة ١٢).

هكذا هو شأن الكثيرين في تعاملهم مع المواعيد، دون اكتراث لقيمة الوقت، ودون مراعاة لأحوال الآخرين وظروفهم، تعامل أقل ما يوصف به الاستهتار وقلة الاكتراث!

فالذي يتأخر عن دوام العمل أو الاجتماع أو الموعد المضروب، إنما يضر بمصالح الآخرين، ولا يراعي ارتباطاتهم والتزاماتهم، ويحبسهم في انتظاره حتى يحضر إليهم، متذرعاً بمختلف الحجج والذرائع، من مواسلات، وازدحام في الطريق، ووفاة القريب أو الجار، ومرض الابن أو الابنة، وغيرها من القوائم التي تطول، و(الفرمانات) التي لا أول لها ولا آخر!

ولو كان جاداً لأعد للمواعيد عُدَّتْها، وهياً نفسه قبل وقت كاف، ولكنه آثر أن يلجأ إلى الأعذار التي صارت واهية ومموجة من كثرة تكرارها لیسوَّغ بها كسله وتهاونه؛ حتى يدخل نفسه في الحرج بسبب اعتذاراته التي مل الناس سماعها.

والواقع المشاهد يقول إن دوام عملنا يبدأ متأخراً عن الزمن المحدد له، واجتماعاتنا تعقد بعد الزمن المقرر لها، وبرامجنا تتأخر على كل المستويات - بما فيها العليا - بعد نصف ساعة أو ساعة من الوقت المحدد! حتى إن أحداً إذا أراد أن يثبت جدية المواعيد يقول منوهاً ومشدداً: (مواعيد خوابات)؛ لتشير هذه المقولة بجلاء إلى بؤس مواعيدنا التي كان يفترض أن تكون نموذجاً يُحتذى، ما دمنا ندَّعي انتماءنا إلى دين نوقن بأنه خير الأديان، وصالح للبشرية في كل زمان ومكان! يعظم قدر الوقت، ويعلي من الوفاء بالوعد.

إن احترام المواعيد، وتقييم الزمن، وعدم تضييعه فيما لا فائدة فيه دليل على احترام الشخص لذاته وللآخرين، ومؤشر على قوة شخصيته وتنظيمه لوقته ووضوح أهدافه؛ أما الذين لا يبالون بمواعيدهم ويكثرون الاعتذار، فهذا دليل على عدم احترامهم لأنفسهم وللآخرين، ومؤشر على أنهم يعيشون حياة ملؤها الفوضى والاضطراب، دون هدف ولا بوصلة، ومن كان بلا هدف ساهم في تحقيق أهداف الآخرين!

ما أجمل أن نحترم مواعيدنا، ونراعي مشاعر الآخرين، ونحافظ على أوقاتهم كما نحب أن يراعي الآخرون مشاعرنا ويحافظوا على أوقاتنا؛ وأن نقيّم الوقت الذي يعني رأس مالنا وكنزنا الغالي الذي سنسأل يوم القيامة عن كل صغيرة وكبيرة فيه.

وما أروع أن ننأى في المقابل بأنفسنا عن كل مستقبح يُعتذر منه، وقد قال أهل الحكمة والدراية من قبل: (إياك وما يعتذر منه) و(لا تكلم بكلام تعتذر عنه غداً).



تعال بكرة..!!

حكى الشيخ المنجد - حفظه الله - عن رجل ظل يتابع لمدة طويلة ملفه الذي أضعاه الموظف، إلى أن حانت منه ذات مرة التفاتة إلى الأسفل، ليجد ملفه تحت المنضدة التي يجلس إليها الموظف الذي يبدو أنه لم يجد سوى ملف هذا الرجل المسكين ليسند به منضدته، رغم ما به من أوراق ثبوتية مهمة!

وبعض الموظفين - هداهم الله - يظن أنه صاحب فضل على طالبي الخدمة، وأنهم بحاجة إليه؛ لذا عليهم أن ينتظروا ما شاء الله لهم أن ينتظروا، دون أن يحتجوا أو يسببوا له إزعاجاً، فإذا كان يتحدث بالحوال، أو يطالع صحيفة، أو يتصفح الواتساب أو الفيسبوك، أو يحتسي شاياً أو قهوة، أو يتجاذب أطراف الحديث مع زميله أو زميلته، فقاطعه من يطلب الخدمة؛ نظر إليه شزراً، أو هاج وماج، وربما وبّخه على استعجاله، هذا إن لم يعطل له إجراءه!

ومن المعتاد أن تأتي إلى موظف فتطلب منه خدمة ما، فيقول لك بكل برود واستخفاف:

- تعال بكرة!

هذا إذا لم يقل لك:

- تعال بعد أسبوع!

مع أن الإجراء لا يستغرق سوى بضع دقائق! كأنه يستمرىء تعذيب الناس، أو يريد أن يثبت أهميته!

ولا يراعي في ذلك كون الرجل الذي أمامه - أو المرأة - ضعيفاً أو مريضاً أو

كبيراً في السن، أو ربما مرتبطاً بعمل؛ فاضطر للاستئذان منه، أو يسكن في مكان بعيد؛ فيشق عليه الوصول لطلب الخدمة!

وبعضهم لا يخدمك حتى ترشييه و(تمسح شنبه) و(تعصر له) - كما يقولون - مبلغاً محترماً، فإذا أدخلت يدك في جيبك ورأى الأوراق النقدية اشتعل حماسه، وأنجز لك العمل في زمن قياسي يثير دهشتك، ناسياً أو متناسياً ما جاء في لعن الراشي والمرتشي والرائش (الواسطة بين الراشي والمرتشي)!

ويتعذر بعض الموظفين ويعلمون تسيبهم وإهمالهم لواجباتهم الوظيفية بضعف الرواتب وقلة الحوافز المادية، مع أنهم وافقوا على هذه الرواتب والحوافز مقابل القيام بالمهام والأعباء الموكلة إليهم؛ ويعلمون أن من أخذ الأجر حاسبه الله بالعمل، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: (المسلمون على شروطهم)^(١)، وإن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)^(٢)، وهذه المهام والأعباء أمانة في أعناقهم، وقد حذر الله جل وعلا من خيانة الأمانات والتفريط فيها، فقال جل من قائل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)^(٣).

وإذا كان الموظف أو العامل غير راض بهذا الراتب؛ فالأفضل له أن يبحث عن عمل آخر، بدلاً من أن يعطل مصالح البلاد والعباد!

لكننا نعود فنقول إن مجتمعنا - بحمد الله - ما زالت به نماذج مشرقة في البذل والعطاء واستشعار المسؤولية والأمانة الملقاة على العاتق، فمنهم من يخجلك بإخلاصه، وتقانيه في عمله، وتواضعه وخفضه جناحه للآخرين، وابتسامته التي لا تفارق وجهه؛ فتخرج منه قرير العين، منبسط الأسارير، داعياً له بالخير والبركة، وإن لم يقض لك حاجتك.

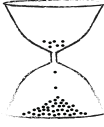
١ رواه الترمذي (١٣٥٢).

٢ السلسلة الصحيحة (١١١٣).

٣ [الأنفال: ٢٧].

شتان بين من يؤدي المهام الموكلة إليه بنفس راضية، تستحضر الأجر والمثوبة من الله تعالى الذي يحب من الناس أنفعهم للناس، والذي من أحب الأعمال إليه سرور تدخله على مسلم؛ شتان بين هذا الذي يحوز رضا الله وثوابه، مصحوباً بشاء الناس ودعائهم، وبين من يفرط في واجباته، ويشق على الناس، ولا يراعي ظروفهم، فيبوء بسخط الله، ومحق البركة من رزقه، مقروناً بحق الناس ودعائهم عليه! وفي الحديث: (اتق دعوة المظلوم؛ فإنها ليس بينها وبين الله حجاب)^(١).

١ رواه البخاري (٢٣١٦) ومسلم (١٩).



متى نعمل؟!

كنا في زيارة لأحد المستشفيات عيادةً لمريض، فهالني رؤية عشرات الجالسين داخل المستشفى وخارجَه جماعات ووحداناً، أسراً وأفراداً، كباراً وصغاراً، في مقاعد الانتظار، أو أمام الغرف الخاصة والعنابر، بينما كان آخرون يفترشون الأبنية أو الأرض، أو يقفون على أرجلهم حين لم يجدوا مكاناً للجلوس.

كان من هؤلاء من يجلس الساعات الطويلة في انتظار مريض - وربما بقي من الصباح إلى المساء أو بات في المستشفى - ويعطل أشغاله وأشغال العباد المرتبطة به، وهو ليس بمرافق للمريض، وليس بطبيب، ولو مَنَح ما يُنفقه على طعامه وشرابه ومواصلاته للمريض وأهله لانتفعوا به أكثر من جلوسه الذي يعطل المصالح، ويعيق العمل في المستشفى، وقد يكون سبباً في نقل العدوى والأمراض!

مما يؤسف له أن مجتمعنا ينطوي على كثير من العادات والتقاليد المقعدة عن العطاء والعمل، المحفزة على الكسل والتراخي، خاصة في القرى والأرياف، فإذا مرض أحدهم انطلق أقرباؤه وجيرانه لزيارته، وقد يتكلفون فيستأجرون حافلة أو عربة لتقلهم إلى المستشفى، وإن كان بعيداً أو استدعى ذلك السفر إليه؛ وقد يستدين بعضهم لذلك، ومن ثم ينفقون أوقاتهم وأموالهم بالساعات والأيام والليالي في انتظار شفائه، ولو جمعوا له مالا وذهب بعضهم ممن لا تتعطل المصالح بغياهم ليعودوه ويطمئنتوا على حاله ويمنحوه المال؛ لكان خيراً له ولهم!

والواقع يخبر بأن كثيراً من هؤلاء لا يذهب بنية تقديم مساعدة يبتغي بها وجه الله تعالى؛ بل لأن المريض قد زاره من قبل في عزاء أو فرح أو مرض، أو اتقاء لوم الناس، وخوفاً من وصفه بالسوء، وأنه (لا يجامل الناس)!

ولا شك أن زيارة المرضى والتعزية في الموتى ومشاركة الناس في أفراحهم وإجابة دعواتهم مما يؤجر عليه المسلم إن ابتغى بذلك وجه الله جل وعلا، وهي مما يميّز مجتمعنا عن كثير من المجتمعات التي كادت هذه المعاني والقيم أن تندثر فيها، ولكن إن تجاوز ذلك الحد المعقول، وأدى لتعطيل مصالح الناس، وتضييع الفرائض، وإهدار الأوقات، وكان مجاملة لا يُراد بها وجه الله تعالى؛ فقد يبوء صاحبها بالإثم، علاوة على ما ضيّع من وقته الثمين وماله وجهه دون فائدة!

وقسّ ما يحدث في المستشفيات على كثير من العادات والسلوكيات المقعدة عن العمل، ابتداءً من الكسل وتضييع الأوقات، والمجاملات المستحبة التي تُتجز على حساب العمل الواجب الذي نؤجر عليه، ومروراً بالتثاقل في الوصول إلى مكان العمل، والتأخير عن وقت الدوام، والتسويق في إنجاز المهام الموكلة، وتضييع الوقت في الإفطار وشرب الشاي ومطالعة الصحف ومواقع الإنترنت والتواصل الاجتماعي وتجاذب أطراف الحديث مع الزملاء والزميلات!

وهكذا في جميع مجالات العمل، نجد التسويق وتضييع الأوقات أبرز معلم من المعالم، فالطريق الذي يُقرّر له أن يرصف في شهر يُرصف في عام كامل، والمبنى الذي التزمت الشركة بتشبيده في ستة أشهر يُشيد في عامين، والنجار أو الحداد أو الميكانيكي الذي وعد بتسليم العمل في ثلاثة أيام يسلمه في شهر، حتى استعاضت كثير من الجهات عن العامل المحلي بالعامل الأجنبي؛ لأن العامل المحلي يغيب اليوم لأن جدته تُوفيت، ويتأخر غداً بحجة أن المواصلات كانت سبباً في ذلك، ويتسبّب بعد غد لأن ابنه مريض، وهكذا دواليك!

الأمر يحتاج إلى تغيير جذري في ثقافتنا، والبداية تكون بأنفسنا ثم أسرنا، بتربية أنفسنا وأبنائنا وبناتنا على الهمة والنشاط واستثمار الوقت، وغرس قيمة حب العمل، وتأكيد أن التعطل أمر معاب، وتضييع الوقت شيء مشين؛ فإذا شب أبنائنا عن الطوق لم يتعطّلوا أو يتبطلوا على نحو ما نجد عند كثير من الشباب الذين لا يعملون بحجة أنهم لم يجدوا من العمل ما يوافق شهاداتهم ومستواهم الاجتماعي!



ما لم نغيّر من عاداتنا وتقاليدينا وسلوكياتنا المثبّطة عن البذل والعطاء، فإننا سوف نظل في مؤخرة الأمم وفي ذيل الشعوب التي بلغت من الحضارة والتقدم شأواً بعيداً، حين أعلنت من قيم العمل، واستثمرت وقتها أفضل استثمار؛ باعتباره كنزها ورأسمالها الحقيقي.



العمل بين ضعف الإتقان وخلف الوعود

بعد أن لاحقت أحد العمال بزيارته في منزله والاتصال به عدة مرات، وعدني فيها بالحضور فأخلف وعده، استيأست منه؛ فاتصلت بمهندس من معارفي حتى يُحضّر لي عاملاً آخر، فقال لي المهندس:

- لدي عامل ماهر.
- جيد.
- ولكن لديه مشكلة واحدة.
- وما هي؟
- مشكلته أنه (طَيِّب) جداً، فإذا كان في طريقه إليك والتقى به شخص ما فطلب منه إنجاز عمل من الأعمال، فقد يذهب معه، وينسى عملك أو يرجئه.
- لا بأس، أهم شيء أن يتقن عمله.

وهكذا جاء هذا العامل (الماهر الطيب) بعد عدة وعود كان يخلفها في كل مرة بحجة أن لديه عملاً لم يكتمل بعد، وكان مجيئه حوالي العاشرة صباحاً، مبرراً تأخره بصعوبة المواصلات وبعد المنطقة التي يسكنها!

وبالفعل أكمل هذا العامل تركيب توصيلات الحمام الذي كان بحاجة لتوصيلات (سِيراميك)، وتبقت له مرحلة أخرى، تُتَجَزَّ بعد تركيب (السيراميك)، فأعطيته جزءاً من المبلغ المتفق عليه، ووعد بالحضور بعد أن يأتي عامل (السيراميك).

وجاء عامل (السيراميك) بعد انتظار طويل، تعلل فيه في كل مرة بأن صاحب



العمل الذي كان يعمل معه لم يطلق سراحه ويعطيه مستحقاته حتى اضطر أن يكمل له كل عمل طلبه منه .

وحين جاء عامل السيراميك اكتشف أخطاء في توصيلات الحمام، تسبب فيها العامل الأول، فبذلنا جهوداً مضنية في إقناعه بمعالجة تلك الأخطاء ما أمكن، إلى أن اقتنع أخيراً بأن يبدأ في العمل . وحين أكمل المطلوب منه تنفسنا الصعداء وحمدنا الله على السلامة!

وسرعان ما اتصلنا بالعامل الأول ليكمل توصيلات الحمام حسب وعده، فاعتذر مرة بأن لديه عملاً في موقع آخر لم يكتمل بعد، واعتذر ثانية بأنه مريض، واعتذر أخرى بأن ابنة عمه توفيت، وحتى يومنا هذا لم يحضر، وقد مضى على بدايته العمل في ذلك الحمام أكثر من ثلاثة أشهر!

وإذا طلبت من نجار أن يصنع لك دولاباً فعليك أن تتحلى بالصبر، وتعتاد التردد إليه من حين لآخر، وأن ينتقل بك من وعدٍ لآخر - إلا من رحم الله جل وعلا - حتى ألفت بعضهم قصة عن نجار وعد رجلاً بصناعة دولاب، فظل يلاحقه ذلك الرجل حتى كبر وشاب، وحين مات أوصى ابنه بملاحقة النجار، فظل ابنه يلاحق النجار دون طائل!

وإذا أصاب سيارتك عطل فأخذتها إلى الميكانيكي، فسألته:

- هل تجيد إصلاح مثل هذا النوع من السيارات؟

سارع بقوله بثقة:

- نعم.

ثم يبدأ العمل، ويطلب منك تغيير إسيبرات معينة، فتذهب لإحضارها من عدة محلات بشق الأنفس، ثم ينتهي من عمله فلا يستطيع إصلاح السيارة، أو يصلحها، فما تلبث أن تتعطل مرة أخرى!

وحين تذهب بالسيارة إلى ميكانيكي آخر تكتشف أنك قد اشتريت إسبيرات
لم تكن السيارة في حاجة إليها، وأنت خسرت ما خسرت من المال والزمن مع مدّع
للميكانيكا، أو على الأقل لا علاقة له بنوع سيارتك، ولم يصلح مثلها قط!

وإذا سافقتك الأقدار يوماً إلى مؤسسة حكومية للقيام بإجراء بسيط، فقد
تلتقي بموظف يتحدث في الجوال، أو يتجاذب أطراف الحديث مع زملائه، أو يقرأ
في الصحف، أو يرتشف الشاي على مهل، ثم يلتفت إليك بكل برود، ويلقي نظرة
عجلى على طلبك ثم فيقول:
- تعال لي بعد ثلاثة أيام!

ثم يبدأ مسلسل الملاحقة والوعود المتجددة إلى أن يشاء الله، هذا إذا لم تختار
الطريق الآخر، وهو طريق الرشوة المحرمة؛ حتى تزيل العقبات والمتاريس المفتعلة!

غياب الإتقان، الوعود الكاذبة والتسويف، ادعاء المعرفة بالعمل، التكاثر، ضياع
الأوقات، الرشاوى، غياب محاسبة المسؤولين وضعف المراقبة؛ كلها مظاهر ونتائج
لعدم استشعار مراقبة الله جل وعلا واستحضار توجيهات الإسلام التي تقضي
بإتقان العمل والوفاء بالوعد، وتؤكد أن من أخذ الأجر حاسبه الله بالعمل، كما في
الحديث: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء)^(١)، وفي حديث: (إن الله يحب إذا
عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)^(٢).

ومحصلة ذلك كله أن يُدخِل الناس الحرام في بطونهم وبطون من يعولون
حين يأخذون أجوراً لقاء أعمال لم يتقنوها، ويُحرّمون إجابة الدعاء، (وما نبت من
سحت - أي من حرام - فالنار أولى به)^(٣) كما في الحديث، وتقل البركة في أرزاقهم،
وتضيع بذلك أوامر الدين وحقوق العباد بتضييع الأمانة، والنبي صلى الله عليه
وسلم يقول: (إذا ضيّعت الأمانة فانتظر الساعة. قال أبو هريرة: كيف إضاعتها يا
رسول الله؟ قال: إذا أسند الأمر إلى غير أهله، فانتظر الساعة)^(٤).

١ رواه مسلم (٥١٦٧).

٢ السلسلة الصحيحة.

٣ رواه.

٤ رواه البخاري.

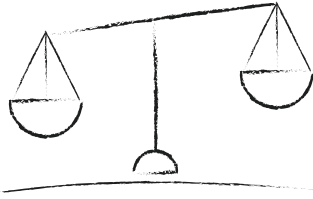
وإتقان العمل في المقابل يعني البركة في الرزق، وصيانة الأمانات والحقوق،
والارتقاء بالمهن والحرف والصناعات، وأهم من ذلك كله: التوفيق في الدارين؛ فعلى
العاقل الحصيف أن يختار بين الطريقتين.

نحو تنمية حقيقية



مراقى السهو





التنمية.. والفساد!!

التنمية تعني البناء والتعمير، بينما يعني الفساد الهدم والتدمير؛ لذا فلا تنمية مع الفساد، لأنهما يسيران في خطين متوازيين لا يلتقيان! والمعروف أن الهدم أسرع من البناء!

قناعتي أنه ما تخلفت دولة عن ركب الحضارة إلا حين أزكمت رائحة الفساد فيها الأنوف، وتقدّمت فيها المصلحة الخاصة على المصلحة العامة، وبقيني أن أكثر الدول تخلفاً هي الدول الحائزة على أعلى الدرجات والنسب في شهادة الفساد! وكل «دعوات» التنمية تصبح مُجرّد «ادعاءات» كاذبة و«وعوداً» حاملة جوفاء ما لم يُقضَ على الفساد الذي ينخر عظام النماء والنهضة.

وحين سُئل رجب أردوغان عن سر النهضة الشاملة التي انتظمت تركيا في عهده، أجاب إجابة مقتضبة لخصت كل شيء: (كل ما فعلته أنني حاربت الفساد)!

التنمية عملية متوازنة تهتم بمصلحة الوطن والمواطنين بشكل عام، وتسعى لتقليل الفوارق بين الطبقات وسدّ مواطن النقص في السلع والخدمات، أما الفساد فهو عملية دافعها الأنانية وحب الذات، فالمفسد لا يرى إلا نفسه، ولا يراعي إلا مصلحته، وهو مستعد لأن يضرب بمصلحة البلاد والعباد عرض الحائط في سبيل أن يحصل مصلحته الشخصية.

فهو إن كان مسؤولاً فإنه لن يمرّ مشروعاً ما لم تكن لديه منفعة شخصية فيه، وربما اشترط على أصحابه أن يحصل على حصة معينة من المال أو نسبة من الإيرادات مقابل أن يصدّق لهم المشروع ويمنحهم التصريح اللازم للعمل؛ ولا يهتم ما يُدخل في جوفه وجوف أبنائه، أمّن الحلال هو أم من الحرام، والنبي عليه الصلاة

والسلام يقول: (لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت)^(١).

فكم من مشروع أقصاه حين لم يجد فيه منفعة، وكم من مصلحة للبلاد فوتتها حين لم تشبع جشعه، وكم من مستثمر رده خائباً حين لم يمنحه ما أراد! فإذا نفذ له ما شاء أفصح المجال لمشروعه، ولا يهमे إن كان يتاجر بسلع فاسدة أو يجحف في حقوق الموظفين والعمال! وينسى دعوة المظلومين التي تلاحقه - ولا شك أنها ستدركه يوماً - كأنه لم يقرأ قول النبي صلى الله عليه وسلم: (اتق دعوة المظلوم؛ فإنها ليس بينها وبين الله حجاب)^(٢).

التنمية تراعي حقوق الضعفاء والمهمشين والفقراء، فتسعى لاستيعابهم ودعمهم وتحسين أوضاعهم، أما الفساد فلا مكان لديه إلا للأقوياء، ولا مجال له إلا للعمالقة! وأكثر من يروح ضحية المفسدين هم الضعفاء الذين لا سند لهم ولا ظهر، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال حين رأى سعد رضي الله عنه أن له فضلاً على من دونه: (هَلْ تَنْصِرُونَ وَتَرْزُقُونَ إِلَّا بَضْعَائِكُمْ)^(٣)، وقال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّمَا يَنْصُرُ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا، بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ)^(٤).

التنمية لا تحابي أحداً، وليس فيها كبير على القانون، فإذا أحسن المحسن كافأته أيأ كان، وإذا أساء المسيء أدبته أيأ كان، أما الفساد فهو قائم على المحسوبية والمحاباة والمصالح المشتركة، والمفسدون بعضهم أولياء بعض، يُداري بعضهم على بعض، ويستر بعضهم بعضاً، فإذا سرق أحدهم تركوه، وإذا سرق غيرهم طبقوا عليه القانون! متجاهلين حديث النبي عليه الصلاة والسلام: (إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد)^(٥).

١ السلسلة الصحيحة (٢٦٠٩).

٢ رواه البخاري (٢٣١٦) ومسلم (١٩).

٣ رواه البخاري (٢٨٩٦).

٤ رواه النسائي (٣١٧٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٣٨٨).

٥ البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨).

المفسد غرَّته الحياة الدنيا، فخدعه ما معه من المال والجاه والقوة، وغرَّه بالله الغرور (الشيطان)، فنسي أن هناك حساباً وجزاءً، وغرَّه الجاه والسلطان؛ فلم يتورع عن معصية الله وظلم عباده، فهو مفسد في الأرض بعد إصلاحها، مخالف لقوله جل وعلا: (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا)^(١).

وإن كان الله قد أمهل المفسد وتهيات له أسباب الفساد، فهذا استدراج من الله تعالى وإملاء؛ لقوله عز وجل: (سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ)^(٢)، ولقوله عليه الصلاة والسلام: (إن الله ليملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته)، قال: ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾^(٣) (٤).

هذا غير ما يصيبه من فساد الأخلاق والأعمال والأرزاق في نفسه وأهله، وغير ما ينتظره في الآخرة من غضب الله وعذابه الأليم، قال السعدي في تفسير قوله تعالى: (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا): (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ) بعمل المعاصي (بَعْدَ إِصْلَاحِهَا) بالطاعات؛ فإن المعاصي تفسد الأخلاق والأعمال والأرزاق^(٥).

١ [الأعراف: ٥٦].

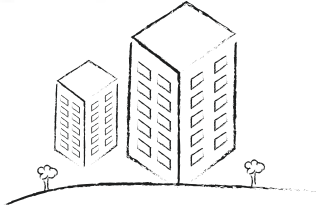
٢ [الأعراف: ١١٨٢].

٣ متفق عليه.

٤ [هود: ١٠٢].

٥ تفسير السعدي (٢٩٢/٨) ..





تنمية الإنسان قبل تعلية البنيان..!!

كثير من الدول اهتمت بالبنيان قبل الإنسان، وعنت بالشكل دون المضمون، فلم تفلح في أمر الدنيا، ولم تُصلح أمر الآخرة!

ودول هذا شأنها يدفع واقعها للتساؤل: ماذا يفعل الإنسان بالمباني الشاهقة والكتل الخرسانية وهو ما يزال أسيراً للعقائد الشريكية التي تجعله يصرف العبادة إلى مخلوق مثله، وما فائدة الجسور والشوارع المسفلتة والإنسان لم يتحرر من العادات الضارة والسلوكيات المتخلفة والأخلاق السيئة التي تقعده عن كل تقدم وازدهار، وما فائدة مشروعات التنمية الاقتصادية والإنسان مكبل بأغلال الجهل والخمول والفساد الخلقي، وما فائدة نشر التكنولوجيا ما دام الإنسان تبعاً للغريزة البهيمية والشهوة الحيوانية!

لقد كَرَّم الإسلام الإنسان ورفع قدره؛ فحرره من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

كثير من الدول تدَّعي الحضارة والرقى، وفيها من ينادي ويستغيث ويتعبد لغير الله جل وعلا، ويشرك به من لا يستطيع له نفعاً ولا ضراً من الأحياء والأموات!

وكثير من الدول اهتمت بتحديث التقنيات وبناء المباني الشاهقة ورصف الطرق ومد الجسور، ولكنها لم تهتم ببناء قدرات الإنسان وتأهيله وتفجير طاقاته الكامنة، ولم تُول أمر التعليم والصحة التفاتاً يذكر، فظل الإنسان فيها أسيراً للجهل والتبلد والمرض!

وكثير من الدول لم ينصرها الله سبحانه وتعالى حين قوّضت دعائم العدل، فلم تأخذ للضعيف حقه من القوي، ولم تنتصر للمظلوم، فكثرت فيها الأقوياء على حساب الضعفاء، والأصحاء على حساب المرضى، والمترفون على حساب الفقراء والجوعى، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول: (هَلْ تُتَصَرُّونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضِعْفَائِكُمْ) ^(١)، ويقول عليه الصلاة والسلام: (إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها، بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم) ^(٢).

وأثر عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: (منذ متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً)، وقال ابن تيمية - رحمه الله -: (إن الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة) ^(٣)، كما أثر عن الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: (إن الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء؛ فما جاع فقير إلا بما متع به غني، وما رأيت نعمة موفورة إلا وإلى جانبها حق مضيع)، وهو الذي أثر عنه أيضاً: (لو تمثل لي الفقر رجلاً لقتلته).

لا يكتمل البناء الحضاري إلا إذا استصحب معه تصحيح معتقد الإنسان في ربه، بإفراده لله عز وجل بالعبودية دون سواه، وتحريره من الجهل والتخلف، وتصحيح أخلاقه وسلوكياته؛ ليرتقي قمة السلم الحضاري الذي يوائم بين العقيدة والخلق، وبين المادة والروح، وبين المظهر والجوهر.

١ رواه البخاري (٢٨٩٦).

٢ رواه النسائي (٣١٧٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٣٨٨).

٣ مجموع الفتاوى (٦٣/٢٨).





الفرق بين الدول المتقدمة والمتخلفة..!!

ثمة فارق جوهري بين الدول المتقدمة والمتخلفة، وهو أن الدول المتقدمة تعتبر الإنسان نفسه الثروة الحقيقية لها، بينما تعتبر الدول المتخلفة أن ثروتها الحقيقية هي الثروات الطبيعية في ظاهر الأرض وباطنها، من مياه عذبة، وأنهار جارية، وذهب وبترو، ومحاصيل وغلّال، وهلمجراً .

ولأن الإنسان الثروة الحقيقية في الدول المتقدمة؛ فإن جُلَّ إنفاقها منصب على الصحة والتعليم والبحث العلمي، وكل ما من شأنه أن يرتقي بهذا الإنسان فكراً وسلوكاً، ويحفظ كرامته وإنسانيته، فيُعطى من الحقوق والامتيازات ما يكفل له العيش الكريم والحياة المستقرة، فإن ظلم انتُصر له، ولو كان خصمه رأس الدولة نفسه!

فيجد فيها المواطن من الخدمات الطبية أفضلها، ومن المؤسسات التعليمية أميزها ويكافأ فيها العلماء والباحثون والمبدعون مكافآت سخية على أبحاثهم واكتشافاتهم وإبداعاتهم.

أما الدول المتخلفة التي تضع الثروة البشرية في ذيل اهتماماتها، فأضعف مستويات الإنفاق فيها هو ما يُنفق على الصحة والتعليم والبحث العلمي، ويظهر ذلك جلياً في تردي الخدمات في مستشفياتها الحكومية، وتدهور بيئة التعليم، وتراجع أوضاع المعلمين، بينما يكون مصير البحوث العلمية والاكتشافات والمخترعات والإبداعات في أحسن الأحوال أن تُوضع في الأضابير والأرفف، هذا إن لم تُلق في سلال المهملات وأكوام القمامة!

ولا يكاد الضعفاء فيها يجدون موطىء قدم، ولا ينالون من الحقوق والخدمات إلا القدر اليسير، فإن ظلموا من الأقوياء ضاعت حقوقهم ولم يجدوا لهم ولياً ولا نصيراً!

وحين لم تنتصر هذه الدول للضعفاء سُلبت النصر والتأييد من الله، وأصبحت ذليلة تستضعفها الدول القوية، وهذا مصداق قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إنه لا قُدُسَ أمة لا يأخذ فيها الضعيف حقه غير متعتع)^(١)، وقوله عليه الصلاة والسلام: (هل تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفائكم)^(٢)، ورحم الله ابن تيمية الذي قال: (إن الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة)^(٣)!

كما نجد أن الدول المتقدمة تحرص على تشجيع علمائها ومبدعيها على الاستقرار فيها، وتتفق عليهم إنفاق من لا يخشى الفقر، وتحثهم على الاختراع والإبداع، معتبرة كل ما ينتجونه ثروة لا تُقدر بثمن؛ بينما ترتفع معدلات هجرة العقول والطاقات من الدول المتخلفة التي لا تبذل جهداً يُذكر لاستبقائها، بل على النقيض من ذلك يشجع بعضها هجرتها؛ طمعا في العملات الصعبة التي سيرفدون بها خزينة الدولة!

اليابان دولة لم تُوهب كثيراً من الثروات التي تمتلكها بعض الدول المتخلفة، لكنها عرفت أن ثروتها الحقيقية تكمن في إنسانها، فأولته عنايتها واهتمامها، فأنفقت على التعليم حتى صار مهنة جاذبة، راتبها أعلى الرواتب، وشاغلها في أحسن الأوضاع؛ فكان أن التحق بها المتفوقون والأذكياء؛ وشجعت على القراءة والبحث العلمي والتأليف في مختلف الفنون، وعملت على رفع قدرات شعبها وتطوير مهاراته وتحسين أوضاعه؛ فكانت المحصلة أن برزت كثيراً من دول العالم في شتى المجالات، واحتلت مكانها الطبيعي في مصاف الدول المتقدمة.

فهل يعي القائمون على رأس الدول المتخلفة الدرس، ويعرفون أن الإنسان هو

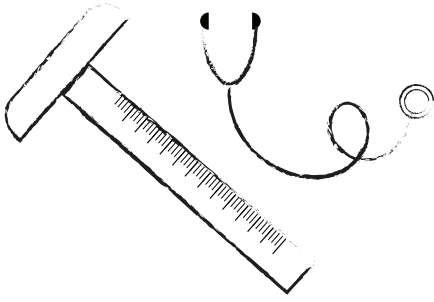
١ رواه ابن ماجه (٢٤٣٦) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٩٨٤).

٢ رواه البخاري (٢٨٩٦).

٣ مجموع الفتاوى (٦٣/٢٨).



ثروتهم الحقيقية، فينتشلوه من براثن الجهل والفقر والتخلف؟! أم سیرضون بأن يكونوا في مؤخرة الدول، يستجدون الدول المتقدمة التي تحتقرهم وتستضعفهم؟! إن لم تكن تُملّي عليهم أوامرها، وتمرر عبرهم سياساتها! ومتى يدركون أن من لم يكرم ثروته الحقيقية ويعتني بها؛ فلن يجد إكراماً من أحد؟!!



لا للطب و الهندسة..!!

في مجتمعنا يقول الأب أو الأم لطفلهما - أو طفلهما - منذ نعومة أظفاره:

- يا ولدي عايزك تكون دكتور أو مهندس!

وينشأ الأطفال منذ صغرهم على هذه الثقافة التي تُعلي من شأن الطب والهندسة، دون أي اعتبار لرغباتهم وميولهم، وتحط في المقابل من شأن التخصصات الأخرى التي لا يذهب إليها في مفهوم الكثيرين إلا أصحاب المستويات الأكاديمية المتدنية!

وهكذا يتجه كثير من المتميزين والمتفوقين أكاديمياً إلى ما يسمى بالمساق العلمي، ليلتحقوا بالطب والهندسة، مجارة للمجتمع، ودون رغبة منهم؛ فلا يبدعون ولا يتميزون، ويتركون بقية التخصصات الأخرى للحاصلين على درجات متدنية أكاديمياً، بينما يلتحق بما يسمى بالمساق الأدبي الذي تنضوي تحته تخصصات الشريعة والسياسة والاقتصاد والقانون والتربية وعلم النفس وغيرها من التخصصات المهمة يلتحق بها من ليس أهلاً لها، ومن دخلها دون رغبة منه - إلا من رحم الله تعالى-، ليتقلدوا المناصب العليا والحساسة في البلاد، ويديروا شؤونها بنظرة قاصرة ورؤية متخبطة؛ فتكون النتيجة التدهور الذي يشمل مناحي الحياة كافة، دينية وسياسية واقتصادية!

ويزداد الطين بلة بكثرة كليات الطب والهندسة التي أنشئت لتلبية الاتجاه السائد في المجتمع، متساهلة في شروط القبول؛ ليلتحق بهذه المجالات من يبحثون عن الوجاهة والمكانة الاجتماعية، دون تأهيل علمي ولا تميز أكاديمي؛ حتى كاد عدد



الأطباء يفوق عدد المرضى، وكاد عدد المهندسين يفوق عدد القطع السكنية والأجهزة والمعدات!

وهذا عكس الموجود في الدول المتقدمة التي يُترك فيها الالتحاق بالتخصصات المختلفة للرغبات والميول، فيُبدع الساسة، ويتفوق الاقتصاديون، ويتميّز الأطباء، ويتطور المهندسون، ويتقدم البياطرة، ويسود الرقي والازدهار شتى مناحي الحياة، بتخصصاتها العلمية والإنسانية والأدبية.

نعم، إن لكل قاعدة شواذاً، فهناك من التحق بالطب والهندسة من تلقاء نفسه ودون إملاء من أحد؛ فتميّز ونبغ، كما أن هناك من التحق بالتخصصات الأخرى بمحض رغبته وملء إرادته، فأبدع وأجاد.

وهناك من التحق بالطب والهندسة فلم يجد نفسه فيهما، ليتحول إلى تخصصات أخرى، ضارباً بثقافة المجتمع وانتقاداته عرض الحائط، والأمثلة على ذلك لا تُحصى!

ختاماً، كفانا ضخاً لمزيد من الأطباء والمهندسين دون دراسة علمية لحاجة المجتمع الحقيقية؛ حتى عجزنا أن نجد لهم فرص عمل كريمة، ولتتغير هذه الثقافة المجتمعية القاصرة التي ترفع من قدر الطب والهندسة والمنسوبين إلى ما يسمى بالمساق العلمي على حساب بقية التخصصات المنسوبة إلى ما يسمى بالمساق الأدبي، بل ترفع من قدر الطب والهندسة نفسيهما على بقية التخصصات العلمية، من كيمياء وفيزياء وبيطرة وزراعة وغيرها مما لا غنى عنه لكل المجتمعات المتحضرة.

وليُعاد النظر في هذا التقسيم المجحف (المساق العلمي والمساق الأدبي)، وليذهب النوابغ والمتفوقون ليتقلدوا أماكنهم الطبيعية التي يجدون أنفسهم فيها؛ فيخرجوا لنا فقهاء مجتهدين، وساسة جهابذة، واقتصاديين حُذّاق، ومعلمين أفذاذ، وإعلاميين متميزين، وأدباء مبدعين، وقانونيين نوابغ، وكيميائيين أكفأ، وأطباء بارعين، ومهندسين متفردين، وغيرهم.

وعذراً أيها الأطباء والمهندسون؛ فليس القصد من هذا المقال التتقص من

قدركم، ولا الحط من منزلتكم، بل المقصود أن يُنظر إلى جميع التخصصات على قدم سواء، باعتبار أن لكل منها دورَه المقدّر في النهضة والبناء، وأن تُراعى رغبات الطلاب وميولهم، دون ضغط من أحد ولا وصاية.



ترجمة المؤلف:

- علي صالح طمبل
- من أبناء جزيرة لبب بدنقلا - الولاية الشمالية، ومواليد مدينة أركويت بالخرطوم عام ١٩٧٨م.
- تخرج في كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية . جامعة الخرطوم عام ٢٠٠٢م.
- حصل على شهادة القيد الصحفي عام ٢٠٠٤م من المجلس القومي للصحافة والمطبوعات.
- نال الدبلوم العالي في الشريعة والقانون من معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي - جامعة أمدرمان الإسلامية ٢٠١٢م.
- ختم حفظ القرآن الكريم بخلوة أركويت مربع ٥٠ بالخرطوم على يد الشيخ يوسف فضل الله.
- له مقالات وبحوث منشورة في الصحف السودانية والدوريات العربية والمواقع الإلكترونية في المجالات الاجتماعية والثقافية.
- معدّ ومقدم برامج في عدد من الإذاعات والقنوات الفضائية السودانية.
- شارك في عدة فعاليات ثقافية وأدبية داخل السودان وخارجه.
- يتعاون مع المنظمات التطوعية في مجال الإعلام والعلاقات العامة.
- عمل في هيئة تحرير عدد من المجلات، من بينها (صحتك)، (المورد)، (بصمة شباب).
- حصل علي جائزة مسابقة بيت الشعر ضمن فعاليات مهرجان الخرطوم للشعر العربي نوفمبر ٢٠١٩م.



له عدة مؤلفات:

١. (البطل المنقوش على شرفات المجد) مجموعة شعرية.
٢. (البحث عن وفاء) مجموعة قصصية - (نُشر أغلبها في الصحف ومواقع الإنترنت).
٣. (المرأة في كتابات توفيق الحكيم) - بحث حصل على المركز الثاني في الملتقى الأدبي بالإمارات ٢٠٠٥م.
٤. (نقد المجتمع في شعر الهادي آدم) دراسة نقدية.
٥. (دور المنظمات التطوعية في توظيف طاقات الشباب) - بحث قُدِّم في مؤتمر الندوة العالمية الثاني عشر (الشباب في عالم متغير) - مراكش يناير ٢٠١٥م.
٦. (مرافئ وشرفات) مجموعة مقالات - طُبِعَ عام ٢٠١٦م عن مطابع السودان للعملة.
٧. (قصص وعبر من واقعنا المعاش) مجموعة قصصية - طبع عام ٢٠١٨م عن مطابع السودان للعملة.
٨. (رمضان: نقطة تحول وموسم تغيير) مجموعة مقالات - طبع عام ٢٠١٩م عن مركز الإحسان للإنتاج الفني والإعلامي.



هذا الكتاب منشور في

شبكة الألوكة
www.alukah.net